الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون–تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان:

المنهج النقدي عند محمد مفتاح
من خلال كتابه : التشابه والاختلاف

من إعداد الطالبتين:

برابح نور الهدى

بن عيسى خديجة

تحت إشراف الأستاذ:

د.خروبي بلقاسم

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
الدكتور معزيز بوبكر	أستاذ التعليم العالي	ابن خلدون	رئيسا
الدكتور خروبي بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	ابن خلدون	مشرفا ومقررا
الدكتور نعار محمد	أستاذ محاضر (أ)	ابن خلدون	عضوا ومناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443 هـ الموافق ل 2021-2022.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى و أهله ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بهذا المتواضع ، مهداة إلى **الوالدين الكريمين** شفاهما الله و أدامهما نورا يضيء دربي .

إلـــى إخـــوتـــــي :

سارة ، عبد الوهاب ، فاروق ، آية الرحمن .

إلى رفيقات المشوار اللواتي قاسمني لحظاته :

خديجة ، أسماء زهية ..

إلى كل من أمدّ لي يد العون من قريب أو بعيد.

إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي ....

نور الهدى

إهداء

اللهم ليس بجهدي و اجتهادي وإنما بتوفيقك ومنّك علي ، فألف حمد لله وفضل يرجع إليه .

إلى الراحلة التي تمنيتها بيننا في هذا اليوم ، ويكسر بخاطري غيابها ، لكنني على ثقة أنها فرحت في قبرها فهي راحلة من حياتي حاضرة في قلبي " أمي رحمها الله" .

إلى من أبصرت به طريق حياتي و استمديت منه قوتي بذاتي و اعتزازي ، إلى الكفاح الذي لا يتوقف ، إلى من ساندني وخطى معي خطواتي ويسر لي الصعاب الصعاب "والدي الغالي" الذي كان لدعائه المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة بحثي أمدّ الله في عمره إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي : أخواتي وزوجة أخي ، إلى زينة حياتي ومصدر سعادتي ، بنات أخي و أختي:" آية ، رنيم ، سجود وجدان.

خديجة

شكر وتقدير

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور المشرف : **خروبي بلقاسم** على كل ما قدمه لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء دراستنا في جوانبها المختلفة ، دون أن ننسى أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها ونخص بالذكر الأستاذ : **مزيلط محمد** .

والشكر موصول أيضا إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا –بلا شك– عناء القراءة ، فسدد الله خطاهم بالحسنات وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

نور الهدى **خديجة**

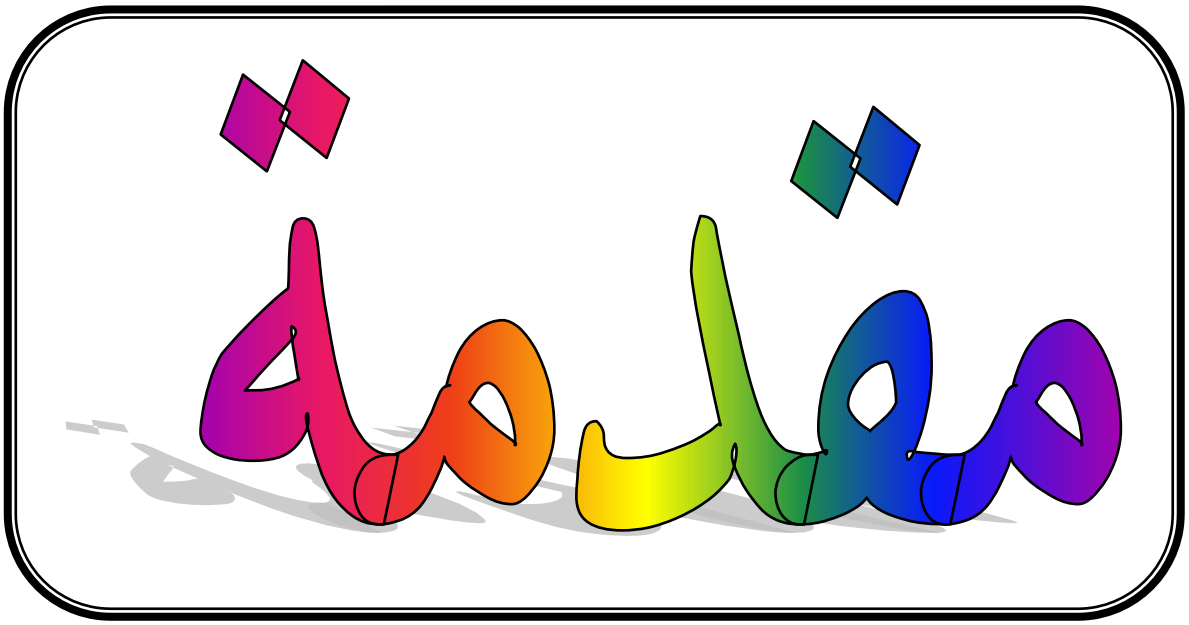
مقدمة

مقدمة

يعد القرن العشرون القرن الذهبي للنقد الأدبي ، فقد ازدهرت الحركة النقدية وتبلورت وتشعبت إلى تيارات عدة ، و انفتحت على آفاق معرفية وحقول علمية شتى ، ولا جدال في أن المغرب كان سباقا إلى النصوص في ميدان النقد الأدبي ، وذلك بفضل الإقلاع الثقافي والتقدم العلمي العام الذي حققه منذ عصر النهضة ، ولعل من أبرز نقاد هذه الحقبة " محمد مفتاح" ، فهو يعد من النقاد الذين أغنوا المكتبة المغاربية ، ومن أكثر الأسماء تداولا في الأوساط الفكرية النقدية ، ذلك أن أفكاره تلقى رواجا لدى قطاع واسع من المثقفين والطلبة العرب .

وعليه سنستغل هذه الفرصة لدراسة أهم مؤلف من مؤلفات " محمد مفتاح" ألا وهو كتاب " **التشابه والاختلاف – نحو منهاجية شمولية** –" ، محاولين دراسة المنهج النقدي في كتابه ، وكان وراء هذا الاختيار دوافع لعل أبرزها :

- اتجاه الموضوع باعتباره موضوعا نقديا يشغل النقد المعاصر .
- أردنا أن تكون الدراسة منصبة على نقاد المغرب العربي من أجل تثمين ما قدموه من دراسات و أبحاث ، ولإعطاء مثل هذه الجهود قيمتها المستحقة ولو بالقليل .

من هنا جاء البحث للإجابة عن بعض **التساؤلات** :

- على أي أساس استحق كتاب " **التشابه و الاختلاف**" وصف المنهاجية الشمولية ؟
- وعلى أي أساس بنى مفتاح كتابه على هذه الثنائية المتناقضة ؟

- ما هو المنهج النقدي الذي طبقه في كتابه "**التشابه و الاختلاف**" ، وفيم تجلت ملامح هذا المنهج؟

وليكون البحث منهجيا يصل بنا إلى الأهداف الآنفة ذكرها ، جعلنا هيكلته مكونة من : **مقدمة** و**مدخل** ثم **فصلين** و**خاتمة** ، ففي **المدخل** تناولنا مجموعة من المفاهيم تجلت فيما يلي :

-القطيعة المعرفية والثورة اللسانية .

-في النسق الثقافي .

-لمحة عن تحولات النقد في المغرب العربي .

ثم يلي المدخل **الفصل الأول** المعنون بـ"**منهاجية محمد مفتاح الشمولية**" تناولنا فيه :

-دراسات "محمد مفتاح" ما قبل التشابه و الاختلاف .

-الخلفيات العلمية لمشروع "محمد مفتاح" .

-مفهوم المنهاجية الشمولية عند " محمد مفتاح" .

أما **الفصل الثاني** فهو فصل تطبيقي المعنون بـ"**المنهج النقدي في كتاب التشابه و الاختلاف**" درسنا فيه :

-مفهوم المنهج والمنهج النقدي .

-أهم المناهج المتبعة في كتاب " التشابه و الاختلاف" .

-التشابه و الاختلاف المعرفيين من منظور "محمد مفتاح" .

وصولا إلى الخاتمة التي جاءت عبارة عن حوصلة شاملة للنتائج التي توصلنا إليها .

ومما لا شك فيه أن أي دراسة إلا وتقتضي منهجا للتمرس عليه ، وقد اتبعنا المنهج البنيوي التكويني, نظرا لطبيعة الموضوع باعتباره يندرج ضمن حقل نقد النقد والمثاقفة النسقية فيما بين حضارات العالم من تشابه واختلاف في الرؤى والتصورات والمرجعيات الفكرية والدينية بين هاته الحضارات، و لإثراء بحثنا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والكثير من المقالات والدراسات النقدية ، ولعل من أهمها :

-عبد اللطيف محفوظ ، جمال بن دحمان ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح .

-هيثم علي الصديان ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها الإشكالية في نقد النقد عند محمد مفتاح.

ونحن بصدد إنجاز هذا العمل واجهنا العديد من الصعوبات والعراقيل التي حالت دون إتمام هذا العمل في وقته ، من بينها الضغوطات النفسية والوقت المطول الذي خصصناه للبحث ، والجهد الكبير الذي بذلناه من أجل إثراء البحث ، كذلك ندرة المراجع التي تتناول "محمد مفتاح" بخاصة كتابه هذا بالدراسة والتحليل ، إلا بعض المقالات المتفرقة في المجلات التي تناولت محمد مفتاح من زوايا ضيقة. ومن كان هذا حاله لا يخلو من عيب يناله.

وقد وفقنا الله عز وجل في تذليل الصعوبات بفضل النصائح الهادفة التي جاد بها علينا الأستاذ "خروبي بلقاسم"، والتي أنارت الدرب أثناء البحث .

تيارت في : 05 – 06 – 2022

جامعة ابن خلدون

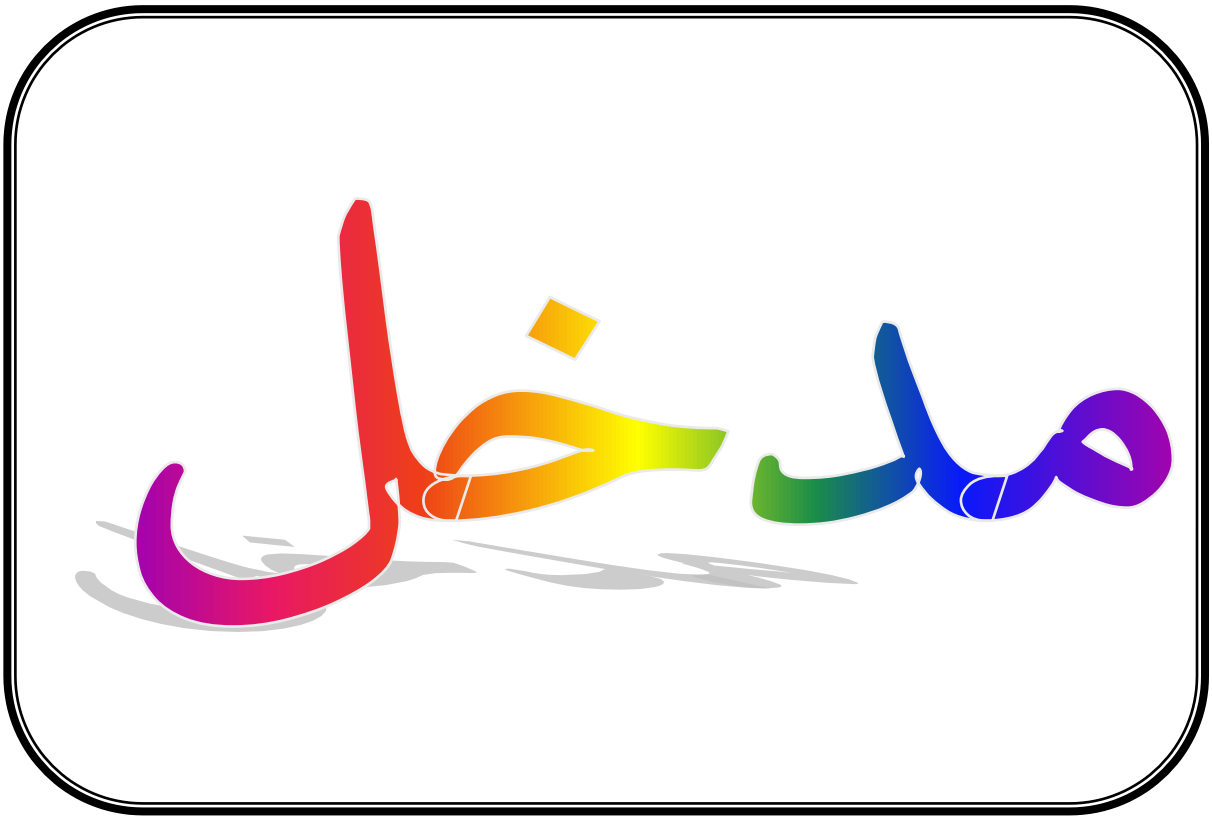
مدخل

مدخل

أ- في القطيعة المعرفية :

يعتبر مفهوم القطيعة المعرفية المفتاح الأساسي لفهم طبيعة التراث الإيديولوجي ، الذي شهده الفكر المعاصر إزاء مطلب الحداثة والموقف من التراث ، فلا وجود لقراءة جديدة حول التراث لم تقترب أكثر أو أقل من هذا المفهوم أو تستوظفه في سياق تقدمها ، سواء كانت المشاريع المهتمة بالتراث تنتمي للمقاربة الإيديولوجية أو المقاربة المعرفية الخالصة، فإن مفهوم القطيعة يحضر بشكل لافت للنظر ،وإذن فهو نفسه مفهوم قابل للتوظيف الإيديولوجي بقدر قابليته للتوظيف المعرفي، على هذا الأساس يمكننا القول بأن مفهوم القطيعة و إن كان منشؤه علمي بحت ، وربما جاء ليقطع الطريق على الاختراق الإيديولوجي نفسه للمعرفة ، إلا أنه يعتبر أفضل هدية يقدمها النقد المعرفي إلى المقاربة الإيديولوجية.[1]

وعليه نطرح الإشكال التالي :

-هل هذه القطيعة هي قطيعة قطعية مع التراث متجاوزة له ؟

-أم هي قطيعة مع فهم معين للتراث ؟

لقد جعلتنا هذه الإشكالية نقف على مجموعة من المشاريع النقدية التي تبنت القطيعة المعرفية أو ما يسمى بـ"القطيعة الابستمولوجية" ، ومن أهم هذه المشاريع نجد كل من "غاستون باشلار" و "محمد الجابري" و "محمد أركون" ، ومع أن هؤلاء المفكرين يقفون على أرضية مشتركة قوامها إحداث القطيعة مع التراث ، إلا أن حيثيات هذه القطيعة هي ما يحدث تمايزا بينهما ، فكل حسب رؤيته و إطاره

[1] هاني إدريس ،نكيف جرى مفهوم القطيعة على التراث ، تاريخ النشر: 25 مارس 2010، ص: 32-33
htpt//hespress.com) 19.30 2022/05/24 اطلع عليه يوم :

المعرفي. لكن لا يمكننا التطرق إلى من تبنوا هذه الأخيرة " القطيعة" من أعلام , سواء أكان ذلك في العالم العربي أو المغربي ، دون أن نلج إلى مفهوم القطيعة الابستيمولوجية باعتباره مفهوما شكل منعطفا بارزا في النقد الأدبي .

مفهوم الابستيمولوجيا :

هي لفظ مركب من لفظين يونانيين هما : "ابستمي" أي المعرفة والعلم ، و "لوقوس" أي النظرية والدراسة ، فمعنى " الابستومولوجيا" إذن : نظرية العلوم وفلسفة العلوم ، ويعزى إدخال هذا المصطلح إلى الفيلسوف الاسكتلندي "ج. فيرييز" إذ قسم الفلسفة إلى : "مبحث الوجود"(الأنطولوجيا) و"مبحث المعرفة" (الابستملوجيا) . [1]

وتعنى الابستيملوجيا بدراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ومناهجها ونتائجها دراسة نقدية ترمي إلى إبراز بناها ومنطقها وقيمتها الموضوعية ، ومن أهم المفاهيم التي تمخضت عنها " الابستيملوجيا" مفهوم القطيعة الابستيمولوجية (coupure épistémologique) ومفهوم العائق الابستيمولوجي,[2]

ويقول عنها المفكر "محمد عابد الجابري" : "إن الابستيمولوجيا أخذت تفرض نفسها في العصر الحاضر كعلم قائم بذاته يختلف من عدة وجوه ، أي يختلف عن كل من الدراسات و الأبحاث الأنطولوجيا

[1] سعيد جلال الدين ،معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ،دار الجنوب للنشر،تونس،2004،ص: 13.

[2] المرجع نفسه،ص:13.

والميثولوجيا ونظرية المعرفة وفلسفة العلوم"[1]، نستنتج من كلامه هذا أن جوهرها هو الدراسة النقدية لمبادئ ونتائج مختلف العلوم .

أ-1/ القطيعة المعرفية في المجال الغربي :

إن من أهم الدارسين والمهتمين بمفهوم القطيعة المعرفية في المجال الغربي نجد "غاستون باشلار" والذي يعد رائدا للقطيعة الابستيمولوجية ، فهو يرى أن العلم أو الثورة العلمية الحقيقية لا تنشأ ولا تتحقق إلا إذا قطعت كل الأواصر المعرفية والتصورية والمنهاجية التي تربطه بعلم العصر الذي سبقه ، سواء تعلق الأمر بالتصور الاستمراري أم بالقطيعة ،[2]ومن الواضح أنه ينبغي التمييز بين ما يسمى : بدايات العلوم وأصولها ، فليس لهما الوضع الابستيمولوجي نفسه، فمن العلوم ما تكون مرحلته ما قبل العلمية من قبيل ما هو قبل تاريخي وبالتالي لا قيمة له.

ومن العلوم ما يشكل تاريخها جزءا أساسيا منها، يساعد العلم تجاوز نفسه ويدفعه نحو التطور والتقدم، فالتأريخ لبدايات علم من العلوم قد يكون ضروريا بالنسبة إلى بعض العلوم ، وقد لا يكون كذلك إطلاقا بالنسبة إلى أخرى ، ويحصل أن كل تحديد وتقدم وتطور يقتضي بالنسبة إلى بعض العلوم

[1] الجابري محمد عابد ، مدخل إلى فلسفة العلوم المعاصرة وتطور الفكر العلمي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،1976، بيروت،ص:20.

[2] د.غلفان مصطفى ،في اللسانيات العامة (تاريخها.طبيعتها.موضوعها.مفاهيمها)،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،ط1، 2010 ، ص:91 .

تجاهل ما قبل العلمية ، بينما تظل المرحلة الماضية حاضرة في ذاكرة بعض العلوم واستمرارها في الحاضر والمستقبل ، مثلما هو الأمر في جوانب عديدة من البحث اللساني الحديث.[1]

إن تاريخ العلم بالنسبة لـ"باشلار" هو تاريخ القطائع، حيث أن كل تطور في العلم قد حدث بعد انقلابات وتجاوز للعوائق الابستيمولوجية ، ويستخلص من تعريف "باشلار" للعوائق الابستيمولوجية أنها عنصر أو مجموعة من العناصر تضع الفكر العلمي في فترة ما من التقدم أو التطور ، ونحكم عليه بالجمود أو التباطؤ ، أما طبيعتها فنفسية لا خارجية ، وتتمثل في إسقاط الذات الدارسة لأحكامها ومسبقاتها على الموضوع المدروس بصورة لا شعورية [2] غالبا ، أي أن تاريخ العلم هو تاريخ الكشف عن تلك العوائق وتجاوزها ، لذلك فإن "باشلار" لا ينظر إلى تلك العوائق نظرة سلبية مطلقة ، بل يرى فيها وجها إيجابيا لأن العلوم لا تتقدم إلا بها ،كما قد ضرب "باشلار " عدة أمثلة من الاكتشافات العلمية التي أخذت ثورة في القيم الابستيمولوجية والنظريات الفلسفية ومنها : الميكانيك الكوانتي والميكانيك النموذجي عند "لويس ديبروي" والميكانيكيات المجردة ، والفيزيائيات المجردة التي تتحكم في كل إمكانيات الاختبار كما يقول "باشلار" : " أما قيمة التحقيب في بلورة مفهوم القطيعة فهو إثبات الطابع التقدمي للفكر العلمي الذي يستدعي ضرورة البحث عن آليات هذا التقدم."[3]

[1] د. غلفان مصطفى ،في اللسانيات العامة،ص:91 .

[2] حامدي مبارك ،التراث و إشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي،سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ،بيروت ،2017 ، ص:58

[3] المرجع نفسه ، ص: 57-58 .

أ-2/ القطيعة المعرفية في المجال العربي :

لعل أكثر من عُرِف بمفهوم القطيعة في المجال العربي هو " الدكتور عابد الجابري" ، الذي لا يُخفي أخذه هذا المفهوم من المفكر الفرنسي " غاستون باشلار" حيث يقول :"أعتقد أن ما أثار الإلتباس في أذهان قرّاء كثيرين هو استعمال كلمة "قطيعة" ولا بد من شرح هذا المفهوم ليظهر المقصود منه : أن أول من استعمل هذا المفهوم هو فيلسوف العلم الفرنسي "غاستون باشلار" وقد كانت النظرة السائدة قبله أن العلم ينمو بالاتصال مثلما تنمو الشجرة أو الجسم، القديم يؤسس الجديد ، لكن "باشلار" حين درس العلم تبين أن العلم لا ينمو بالاتصال و إنما ينمو عبر قطائع على انفصالات "[1]،ومن هذا المنطلق يرى "الجابري " أنه ليس المقصود بالقطيعة الابستيمولوجية ظهور مفاهيم ونظريات وإشكاليات جديدة وحسب بل إنها تعني أكثر من ذلك ، أنه لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين القديم والجديد .[2]

إن مفهوم القطيعة عند " الجابري" قد استعمل في مجال تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية باعتبارها قراءات مستقلة متوازية للفلسفة اليونانية ، ومن ثم نستطيع الاستنتاج أن هذه الفلسفة لا تاريخ لها ، حيث يرى أن المفاهيم والمصطلحات بإمكانها أن تسافر في الثقافة المعاصرة كما تسافر في الثقافات القديمة ، لأن فعل السفر هو من خواصها ، كما نجد الجابري يصرح في أكثر مواضعه أنه أخذ مفهوم

[1] الجابري محمد عابد ، التراث والحداثة ،دراسات ومناقشات،المركز الثقافي العربي،ط1 ،سبتمبر،1991، بيروت، ص: 27 .

[2] الجابري محمد عابد ، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة والتطور الفكري العلمي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1: 1976 ،بيروت ، ص: 43.

القطيعة الابستيمولوجية لكي يستخدمه استخداما إجرائيا لا غير له، أي أنه لم يكن الهدف منها الخوض في جوهر هذا المفهوم ، و إنما أن يستفيد مما يثيره من أسئلة وأن يغوص بما يفتحه من آفاق .[1]

إذن تبدو الآن المسألة واضحة بخصوص القطيعة عند " الجابري و باشلار "، فالأول لم يدع إلى قطيعة تامة مع التراث ، بل دعا إلى تجديده وفق رؤية معاصرة ، بينما الثاني دعا إلى قطيعة تامة واعتبر بأن تاريخ العلوم هو تاريخ القطائع كما قال .

لقد ولدت لنا هذه القطيعة ما يُعرف بـ "**الثورة اللسانية**" ، هذه الأخيرة التي شكلت منعطفا فكريا وتدحرجا في مسار الحركة النقدية .والسؤال الذي يطرح نفسه هو : -ماهو مفهوم الثورة اللسانية ؟

-وفيم تمثلت تموضعاتها ومحاورها ؟

ب-في الثورة اللسانية :

إن اللسانيات كما يذكرها الباحث "عيسى مومني" هي مصطلح أتى من اللسان ، واللسان يعني اللغة ، وأضيفت له الياء و الألف والتاء فأصبح علما يبحث في اللسان ، أي اللغة.[2] وتعرف كذلك على أنها الدراسة العلمية للغة ، تمييزا لها عن الجهود الفردية والخواطر والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور .[3]

[1] شويرب هنية، لشعل أحمد، منهجية محمد عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ،مجلد3، ع:2 ، الأغواط ، 2021، ص: 111 .

[2] مومني عيسى ،بيبلوغرافيا اللسانيات،جامعة منتوري قسنطينة،دار العلوم للنشر والتوزيع،عنابة ،ص: 17 .

[3] علي محمد يونس ،مدخل إلى اللسانيات ،دار الكتب الجديدة المتحدة ،ط:1 ، 2004 ،بيروت ، ص: 9-10 .

مدخل

هذه الدراسة العلمية التي يقول عنها " بلومفيلد" : " أنها لم تبدأ إلا منذ القرن الماضي فقط عن طريق الملاحظة الواعية والواسعة ، وبالتالي ليست اللسانيات سوى في بداياتها ، وهو بذلك يحدد ميلاد اللسانيات على أبعد تقدير في القرن التاسع عشر ، أي مع ظهور المنهج التاريخي المقارن على وجه التقريب"[1], إن اللسانيات فكر له سماته وخصوصياته التي تميزه عن غيره من أنواع التفكير اللغوي الأخرى كالتاريخي والمقارن .[2]

لقد تمثلت الثورة اللسانية في كونها أحدثت انقلابا جذريا في تاريخ الدراسات ، فما كانت أن تفد على الفكر الغربي حتى مدت يدها الطولى لصهر العديد من التيارات النقدية ، فأسهمت في تحديد و إعادة بناء وتشكيل غالب الرؤى والمفاهيم النقدية ، إن نقطة الانطلاق لدى النقد الجديد هي علم الجمال الرومنسي التي أدت بالمنظرين إلى تأكيد استقلالية الأدب ، ومن ثم استقلال نظريته ، فأصبح الهدف الأصلي للنقد الجديد هو إيجاد بديل للانطباعية والدرس التاريخي[3]، فالدراسات اللغوية السائدة في القرن 19 كانت دراسات تاريخية ، تدرس اللغة من حيث تطورها وتغيراتها خلال التاريخ ، أو خلال حقبة زمنية معينة ، لكن ذلك لا يعني أن هذا القرن لم يشمل بعض التطلعات لمعالجة اللغة بطريقة تختلف اختلافا جذريا عما عهد خلال وقت طويل من عمر الدراسات اللغوية ، فقد تولدت عن أقطابه اللسانيين ملاحظة [4] تدل وبشكل واضح على إدراكهم المبكر لما سمي فيما بعد بـ"المنهج الوصفي"، الذي لم يتجل ميلاده إلا بعد نشر محاضرات دوسوسير ، والتي حددت ملامح هذا المنهج ، وقد أثمر

[1] د. غلفان مصطفى ، في اللسانيات العامة ، ص: 55 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 95 .

[3] زروقي عبد القادر ، الدرس اللساني و أثره في النقد الأدبي ،قسم اللغة العربية ،جامعة ابن خلدون ، تيارت ، مجلة القلم ، ع3 ، 2006 ، ص: 157 .

[4] فوزية دندوقة ، أثر لسانيات ديسوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات،ندوة المخبر،جامعة محمد خيضر،بسكرة،ص: 1-2

ذلك في اتجاه الدراسات الوصفية في أمريكا نحو اكتشاف اللغات المجهولة من المجموعة الهندية الأمريكية مع الاهتمام بالنزول إلى حقل التجربة ، و اتجه الأوروبيون إلى دراسة اللهجات التي ظلت تعاني ردحا من الزمن من الإهمال و اللامبالاة .[1]

من هذا المنطلق تنبذ اللسانيات كل موقف معياري من اللغة ، فهي تمسك عن إصدار الأحكام وعن التقييم سواء ما كان منه في ذلك مدحا أو تهجينا ، لأنها لا تستند إلى تصنيفات الخطأ والصواب ، ولا إلى مقولة الحسن والقبيح ، لذلك قام المنهج اللساني على الوصف والمعاينة ، فهو بذلك اختياري يتشبع الأجزاء استقراء ويصعد منها إلى الخصوصية الجامعة استنتاجا .[2]كل هذا لم يضع النقد العربي بمنأى عن هذه الثورة المعرفية والنسقية ، فقد ظهرت في خضم هذه الثورة ما يسمى بـ : نسقية الثقافة،- فيم تمثلت إذن هذه النسقية ؟

لقد عرف النقد العربي تحولا من المناهج السياقية الخارجية إلى المناهج النصانية ، هذه الأخيرة التي تسعى لاكتشاف الأنساق الثقافية التي تؤثر في الجانب الفكري و الايديولوجي و الأدبي ، من هنا كان لزاما علينا أن نتبع دلالة كل من مصطلحي " **النسق و الثقافة**" باعتبارهما بؤرة التوتر التي تكشف الغطاء عما يسمى بـ " **النسق الثقافي**" كمصطلح نقدي له معالمه .

[1] د.غويرق حميد، ملامح المنهج الآني في التراث اللغوي العربي – مقاربة لسانية بنيوية- مجلة الأثر ، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية ، ع33 ، جوان 2020، ورقلة ، ص : 66 .

[2] د. المسدي عبد السلام ، اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، أوت 1986 ، ص: 13-14 .

مدخل

والنسق في قاموس المحيط " نسّق الكلام : عطف على بعض ، والنسق محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد ، ومن الثغور المستوية ، ومن الخرز المنظم وكواكب الجوزاء ، ومن كل شيء ما كان على طريقة نظام عام ، والنسقان كوكبان ، أحدهما يمان و الأخر شام ، و أَنْسَقَ تكلم سجعا ، وتنسيق : التنظيم، وناسق بينهما وتناسقت الأشياء و انتسقت وتنسقت بعضهما إلى بعض."[1]

وتدل كلمة " نسق" في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة على مجموعة من العلامات اللسانية و الأدبية والثقافية ، أو على مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها وفق مجموعة من المبادئ والقواعد .[2] أما في الاصطلاح فقد تناول مفهوم النسق العديد من الدارسين والنقاد تنظيرا وتطبيقا وعلى رأسهم " يمنى العيد" ، فمفهوم "النسق" يتحدد في نظريتها إلى البنية ككل وليست في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية ، ذلك أن البنية ليست مجموع هذه العناصر بل بداخلها ، وهو يكتسب قيمته داخل البنية في علاقته ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر والتي بها تنهض البنية فتتبع نسقها." [3] وهو عند " عبد اللطيف محمد خليفة" عبارة عن " مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها لكي تؤدي وظيفة معينة ، ويسهم كل منها بوزن معين حسب أهميته ودرجة فاعليته داخل النسق."[4]

---

[1] الفيرزور ابادي ، قاموس المحيط ، دار الجديد ، القاهرة ، ط 2008 ، ص: 1606 .

[2] جميل حمداوي ، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة ، دار الريف للطبع والنشر ، ط:01 ، 2016 ، المغرب ، ص : 07-08 .

[3] منى عتيق ، قراءة نقدية لكتاب " في معرفة النص" ليمنى العيد،مذكرة ماستر،جامعة محمد بوضياف،المسيلة ، 2017 ،ص : 20

[4] بوشمة معاشو، الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه ،الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس ،2018 ، ص: 4 .

هذا بالنسبة إلى مفهومه أما بما يتعلق بظهوره فيرجع ظهور النسق إلى اليونان وخاصة الرواقيين الذين يعتقدون أن كل ما في لكون محكوم بقانون عام ، لذا فهم يعتبرون الكون نسقا أو مجموعة من العلاقات التي تربط بين نسق الأفكار ونسق الكون ، قصد الكشف عن التناسق الأزلي.[1]

ويعرف النسق في الفلسفة والعلوم التنظيرية مجموعة من الأفكار العلمية أو الفلسفية المتآزرة والمترابطة يدعم بعضها بعضا ومؤلفة لنظام عضوي متين مثل قولنا : " نسق أرسطو ونسق نيوتن ونسق هيغل وما إلى ذلك".[2] أما مصطلح الثقافة فقد جاء في معجم المحيط كالآتي :

"الرجل يثقف وثقف يثقف ثقفا وثقفا ، صار حاذقا ، وثقفه يثقفه ثقفا أخذه أو أظفره به أو أدركه ".[3]

أما مفهوم مصطلح الثقافة في الاصطلاح فقد عرفها " ادوارد تايلور" بمعناها الإنساني الأوسع على أنها هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن و الأخلاق والقانون و الأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره في المجتمع ،[4]هذا ويضيف المفكر " مالك بن نبي" بأن " فكرة الثقافة حديثة جاءتنا من أوروبا ، فمفهوم الثقافة ثمرة من ثمار عصر النهضة ،عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن وفي الأدب والفكر."[5]

---

[1] الزواوي باغورة ، المنهج البنيوي ،دار الهدى للنشر ،ط1 ،2002 الجزائر ،ص: 73 .

[2] سعيدة تومي ، النقد الثقافي قضايا ورؤى، مختبر اللغة والتواصل ،ط1 ، 2020 ، الجزائر ،ص: 82-83 .

[3] بطرس البستاني ، محيط المحيط ،مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح ، لبنان،بيروت،ط: 2007 ،ص: 83 .

[4] بوشمة معاشو، الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي ، ص: 61-62 .

[5] مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،تر: عبد الصبور شاهين،دار الفكر ، دمشق ،ط: 2000 ، ص: 24-25 .

مدخل

إن الثقافة تقع بين منظورين عام وخاص ، و أي محاولة لتعريفها سوف يعتريها القصور والنقص ، آية ذلك أن الثقافة لا يمكن تعريفها بمعزل عن مجتمعاتها التي أنتجتها ، فالخصوصية التي تميز الثقافة تصل بها إلى حد الانغلاق من حيث خصوصيتها الذاتية ومحليتها وزمنها التاريخي ، ومهما حاولت الثقافة أن تتخلى عن خصوصيتها قصد الوصول إلى العالمية ، فإنها تظل محدودة بمحليتها وبنظمها التي تفرزها وتغلقها على ذاتها أو على سياقاتها الذاتية في زمنها التاريخي، والثقافة في بعدها الآخر هي اسم لصيرورة عامة تخص تشكلات سبل الحياة ووسائطها ، ومن هذا المنظور لعب مفهوم الثقافة دورا حاسما في تحديد وتعريف العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية.[1] وعليه يمكننا القول أن الاهتمام بتعريف شامل للثقافة ومن ثم النسق الثقافي هو واحد من الاهتمامات التي تستحوذ على النقاد الثقافيين .[2] ومما سبق يتراءى لنا أن مفهوم الثقافة خرج من رحمه ما يسمى بـ : "**النسق الثقافي**" .

✍ في النسق الثقافي :

تعتبر الأنساق الثقافية محاولة عربية لإبطال قدسية الفكر الغربي الذي يمثل للعربي الأنموذج الفعلي، والنقد الثقافي يعد منبرا اعتلاه المفكرون لحملتهم الثقافية المضادة ، وترسخ فكرا عربيا ذو جذور ثابتة صامدة لا تأبه بالرياح ، لهذا تعددت مفاهيمه وتنوعت رؤاه ، ويعد النسق الثقافي ذو طبيعة سردية، إنه خفي يستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية والأنساق الثقافية التاريخية و الأزلية ،

[1] د. قطوس بسام ، دليل النظرية النقدية المعاصرة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1 ، 2004 ، ص : 226 .
[2] كاظم نادر ، تمثيلات الآخر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط:1 ، 2004 ، ص: 98 .

ولها الغلبة دائما ، وعليه يمكن القول أن علامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق .[1]

إن الأنساق الثقافية هي قوانين وتشريعات أرضية من صنع الإنسان ، وفي مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان ، ووضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريفه أموره في الحياة ، إن النشاط الفكري لهذه الأنساق عززته أجيال متعاقبة ومتتالية من البشر ، لأن العقل إذا كان جمعيا يعمل في الممارسات ، فالأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة حسب مقولة "بارسونز" : " الأنساق الاجتماعية مكونة من أجزاء قادرة على التأمل والتفكير أثناء قيامها بأدوارها."[2]

هذا ونجد "الغذامي" يكشف لنا حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة بكتابه " **النقد الثقافي**" ، و أهم حيلة يركز عليها هي الحيلة الجمالية ،ومنه تتحدد الوظيفة التنسيقية من حيث :

- اشتمالها على نسقين يحدثان في آن واحد وفي نص واحد بحيث يكون المضمر منها نقيضا ومضادا للظاهر .
- يشترط في النص الجمالية المستهلكة مع توفر الجماهيرية التي تحضى بمقروئية عريضة ، وذلك لرؤية ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي .
- وما يستنتج من حقيقة الوظيفة النسقية للنسق الثقافي هو جمعها بين المدرسة البنيوية في ثنائية الدال الظاهر والمدلول المضمر وبين نظرية التلقي الممثلة في الجماهير القارئة ،والشروط السابقة تقتضي

[1] تومي سعيدة ، النقد الثقافي –قضايا ورؤى ،ص: 84 .

[2] يوسف عبد الفتاح أحمد ، لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة ، الدار العربية للعلوم ، ط:01، 2010،لبنان، ص: 150-151

إجرائيا قراءة النصوص و الأنساق قراءة ثقافية خاصة بعدها حالة ثقافية ، إضافة إلى حالته الأدبية الجمالية ، ذلك أن دلالته المضمرة ليست مصنوعة من مؤلف ، ولكنها منغرسة في الخطاب .[1]

إن الإنسان في النسق الثقافي يخضع لمجموعة من المعايير الثقافية السائدة في مجتمعه، والمعايير كما يعرفها "بارسونز" : "هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم ، وتتحول هذه المعايير من الأنساق الشعرية في صورة قيم ، وهذه القيم كما يعرفها "بارسونز" هي ما يعتقده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة". وعلى هذا فالمعايير تتحول إلى قيم في أفعال البشر ، فالأديب بشكل عام يسعى إلى نشر قيم التسامح والحب والعدل والخير من خلال خطاباته الإبداعية ،كما يسعى إلى انتظام أفعال الأفراد وفقا للقيم التي يحلم بتحقيقها .[2] من هنا كان لمكانة الأنساق الثقافية عماد في النقد، جاءت هذه المكانة بفضل الانفتاح على النسق الذي أنشأ لنا روابط ثقافية و اجتماعية منسجمة قابلة للانتقال من جيل لجيل .

وما يسعنا قوله هو أن هذه الأنساق الثقافية ولدت لنا ممارسات ودراسات في العالم العربي بصفة عامة والمغرب العربي بصفة خاصة ، هذه الدراسات شكلت منعطفا فكريا كان له صداه ، حيث جعلت النقد الأدبي يحدث طفرة في المعالم النقدية ، وهذا ما سنتطرق إليه وفق تحولات هذا النقد في المغرب العربي.

[1] تومي سعيدة ، النقد الثقافي – قضايا ورؤى ، ص: 154 .

[2] يوسف عبد الفتاح أحمد ، لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة ،ص : 150-151 .

لمحة عن تحولات النقد في المغرب العربي :

من الأنسب قبل أن نبدأ الحديث عن تحولات النقد لا بد أن نتوقف مليا أمام كلمة " **نقد**" محاولين تحديد مفهومها من خلال عدة مفاهيم ومعاني نذكر مايلي :

"نَقَدَ الطائر الأرض بمنقاره بحثا عن الحب" أي ليستخرج منها الحب ، ولما حلّت العملة المعدنية محل الماشية في البيع والشراء أُطلقت على تمييز الدرهم الأصيل من الزائف اسم النقد ، يُقال : " نقد النقاد الدراهم ، ميز جيدها من رديئها ، ونقد جيد ونقود جِياد""، والنقد بهذا المفهوم يحتاج إلى خبرة ومعرفة بحقيقة الشيء المادي ، هل هو أصيل أم زائف؟ وبذلك تتمثل فيه الصفة العلمية.[1]

أما النقد في الاصطلاح فقد عرفه العديد من النقاد وعلى رأسهم "**تيري إيجلتون**" على أن" النقد لا يظهر بوصفه جوابا سريعا تلقائيا على الحقيقة الوجودية للنص مقترنا بصورة عفوية مع الغاية التي يضيء وجودها للنقد حياته الخاصة المستقلة نسبيا ، إنه يشكل نظاما معقدا داخليا يتمفصل مع النظام الأدبي أكثر من كونه يعكس هذا النظام"، وفي السياق نفسه يذكر **رولان بارت** على أن " النقد الأدبي لغة فوق اللغة ، و إن هدفه ليس اكتشاف صيغ الحقيقة بل اكتشاف صيغ للمشروعية ، واللغة بذاتها لا يمكن أن تكون حقيقة أو زائفة ، إما أن تكون مشروعة أو غير مشروعة ، وهي تكون مشروعة إذا تكونت من نظام مترابط الرموز"[2]، والنقد ما هو إلا تقييم للأعمال الأدبية ، ويختلف النقاد في هذه الوظيفة ، فبعضهم يفضل في نقده الشكل الخارجي للعمل الأدبي وبعضهم يفضل المضمون ، وإن كان

[1] موافي عثمان ،دراسات في النقد العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2004 ،ص: 11- 12 .

[2] الكبيسي طراد ، مدخل في النقد الأدبي .دار اليازوري العلمية. ط :2009 .الأردن .ص: 08 .

المضمون والشكل يكونان وحدة متماسكة في العمل الأدبي[1]، إن وظيفة هذا النقد تكمن في أنه ينير الأدب أمامنا ويغرينا بالسير فيه ، ويلفتنا إلى ما فيه من جمال لا نستطيع إدراكه بأنفسنا .

إن معايشتنا لأديب أو شاعر كبير في آثاره الأدبية قد تؤثر فينا ، فتجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الحياة ، إن معايشتنا لناقد كبير فيما يكتب عن الأدب قد تؤثر فينا أيضا ، فتجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الأدب [2]، ويصفه الناقد "**عبد المالك مرتاض**" بأنه " لم يعد مجرد أحكام ساذجة أو متحيزة أو حتى نزيهة وموضوعية ، ولكنه أمسى ممارسة معرفية شديدة التعقيد ولا تجترئ بإصدار الأحكام الجاهزة للنص الأدبي أو عليه، ولكنها تعمد إلى تحليل الظاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبي وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات و الأدوات المعرفية ، لقد أمسى النقد الأدبي جهازا معرفيا لا ينفك يتعقد ويتعمق كلما أوغلنا في المعرفة الإنسانية المتطورة"[3]،هذا ما يجعلنا نقول أن النقد هو كشف عن الخبايا المخبوءة ما وراء الأسطر بهدف استخلاصها وجعل الأدب أدبا والنص نصا.

إذن وبعد تبيان هذا الشرح المفهومي لمصطلح " النقد" جاز لنا بأن نجهر بأن النقد في المغرب العربي قد عرف تحولات عدة سنتطرق إليها ، فإذا كان المشرق العربي قد جعل لنفسه مكانة لا يستهان بها بفضل رجالاته و اهتماماتهم بتاريخهم الأدبي والنقدي ، أبرزهم نجد في مصر مثلا "**أحمد أمين**" الذي ألّف كتاب "النقد الأدبي" سنة 1952 ، مرورا على "**عز الدين اسماعيل**" في كتابه "الأدب وفنونه" سنة 1955 ،وغيرهم من المفكرين ، فإن النقد في المغرب العربي قد اتصف كذلك بكثير من المحطات التي

[1] علي عبد الرحمن عبد الحميد ، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث ،ط01 : 2005 ، ص: 132 .
[2] د. عتيق عبد العزيز ، في النقد الأدبي –بين الحداثة والتقليد ،دار النهضة العربية، ط: 02 ، 1972 ، بيروت ، ص: 268 .
[3] مرتاض عبد المالك ، في نظرية النقد –متابعة لأهم المدارس النقدية ورصد لنظرياتها ،دار هومه ،الجزائر ،2002،ص: 227 .

جعلت له مكانة مرموقة في الدراسات النقدية هذا بفضل مجموعة هائلة من الأدباء والنقاد الذين أغنوا المكتبة المغاربية بالكتب والدراسات والأبحاث ، فقد أخذ الباحث المغاربي مثلا يستمد مقوماته النقدية من هنا وهناك ، أي من المناهج ، إذ بدأ بالقراءة التذوقية مرورا بالمناهج البلاغية والاجتماعية والنفسية في إطارها السياقي ، إلى أن جاء التحول النسقي مع ظهور البنيوية وما بعد البنيوية كالسيميائية ونظرية التلقي وغيرها ، حيث يقول "سعيد يقطين" في هذا الصدد : "إن المسار النقدي الغربي ظل هو الذي يوحد النقد الأدبي المغربي ويفرض عليه في كل مرحلة إبدالاته الخاصة والمتجددة"[1]،فالنقد المغاربي قد زاد من قوته بفعل المناهج الغربية بمختلف تياراتها .

إن المتتبع للحركة النقدية المعاصرة يلاحظ سرعة كبيرة في الانتقال من منهج نقدي إلى آخر ، وتخلي النقاد عن اللجوء إلى المناهج القديمة التي فقدت بريقها وعجزت عن استنطاق النص الأدبي ، فما حدث في المشهد النقدي هو اتساع دائرة المشاركة فعلا ،ولكن على مستوى الاستهلاك وإعادة الإنتاج أكثر منه على مستوى الإنتاج الخلاق ، أو المستوعب للاختلاف الثقافي ، وهذا اعتراف صريح من الناقد "**محمد برادة**":"أعتقد في النهاية أن الوضع النقدي يعاني –وهذا شيء طبيعي – من نوع من الخلط لأننا لم نستوعب كل المناهج ، وفي غالب الأحيان تعرفنا على هذه المناهج بطريقة جزئية ، أي لم تقدم هذه المناهج دفعة واحدة"[2]، ومن بين هذه المناهج التي حظيت باهتمام النقاد في المغرب العربي سواء كان ذلك الاهتمام نظريا أو تطبيقيا نجد :

[1] قرقوي بدرة ،نقد النقد في المغرب العربي،رسالة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر،جامعة أبو بكر بالقايد،تلمسان، 2015 ،ص: 7

[2] رقيق سعاد ، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر ، رسالة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ، 2015 ، ص:181-182 .

- **المنهج السيميائي:**

لقد لقي المنهج السيميائي رواجا لدى الكتاب والنقاد وخاصة نقاد المغرب العربي ، بحكم التلاقح الثقافي وطبيعة هذا المنهج من جهة أخرى ، ولعل من أبرز النقاد الجزائريين نجد الناقد "**عبد المالك مرتاض**"، هذا الناقد الذي لا يحتاج مشروعه إلى تشخيص أو تعريف بقدر ما يحتاج إلى تأمل ومتابعة ، ومن أبرز دراساته في مقاربة الخطاب الشعري نجد شعرية القصيدة – **قصيدة القراءة**– تحليل مركب لقصيدة : **أين ليلاي**"[1] ، كما وقد جاء "مرتاض" بعدة مصطلحات من المنهج السيميائي ودراستها ، ومن أمثلة ذلك : (السمة – الحيز – التشاكل – الأيقونة – الرمز).

إضافة إلى "مرتاض" في الجزائر نجد "**رشيد بن مالك**" والذي يعد من أبرز الذين ساهموا في تقديم الدراسات النقدية السيميائية من خلال ترجمته للعديد من المؤلفات والبحوث السيميائية ، من حيث قناعته بضرورة تقديم النظرية السيميائية في أصولها ، إذ نجده يتحدث عن القارئ الذي يجهل أصول النظرية بقوله : " و أنى له أن يتمثل ما يقرأ وهو مفتقر إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعتها السيميائية ، ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك"[2].

أما النقد في تونس فقد كشف البحث السيميائي في الخطاب التونسي عن أسماء كـ"**محمد الحمايدي**" و " **الهادي خليل**" و "**محمد الناصر العجيمي**" ، وقد اشتغل هذا الأخير على نظرية " غريماس" في كتاب نقدي ، استهله منظرا لأطروحات "غريماس" السيميائية ، وختمه مطبقا على

[1] موشعال فاطمة ، سيميائية عبد المالك مرتاض في مقاربة الخطاب الشعري الجزائري القديم ، مجلة التحرير ، مج : 02 ، ع:02 ، الجزائر،2020، ص:29 .

[2] المرتجى أنور ، سيميائية النص الأدبي ، دار افريقيا للنشر ، المغرب ،دط، 1987 ، ص: 97 .

حكاية من حكايات أدبنا القديم الواردة في كتاب "**كليلة ودمنة**" لـ"**ابن المقفع**" ، مع ثبت المصطلحات السيميائية السردية التي أعملها في دراسته وترجمتها[1]،كما وقد كان للدرس السيميائي حظ وفير من الاهتمام في المغرب الأقصى ، ذلك من حيث الترجمة والشرح والتطبيق ،" إذ يتميز الخطاب السيميائي بالمغرب بأنه لم يبق في حدود التمارين التعليمية ، لقد تخطى ذلك إلى استيعاب كامل للمفاهيم وغربلة للاتجاهات والمدارس النقدية مع رغبة واعية من أجل الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها النص الأدبي"[2]، ومن بين المنظرين لهذا الدرس نجد كل من "**محمد مفتاح**" و"**عبد الفتاح كليطو**".

- **المنهج البنيوي التكويني :**

لقد هيأت الظروف السياسية و الاجتماعية في بلاد المغرب العربي للنقاد والدارسين الجو المناسب من أجل تبني المنهج البنيوي التكويني خصوصا مع انتشار الفكر التحرري ، والدعوة إلى استقلال تلك الشعوب من نير الاستعمار الفرنسي ، إضافة إلى عنصر المثاقفة والعلاقة التي تربط المغرب العربي بأوروبا وبفرنسا خصوصا ،كل هذه المعطيات ساعدت على رواج هذا المنهج في هذه الرقعة الجزائرية دون غيرها من بلاد المشرق العربي ،فقد تلقفه الناقد المغاربي بحيوية كبيرة ، وبهذا الصدد يمكن ذكر مجموعة من الأعمال النقدية الشهيرة في هذا المجال ، ومنها كتاب " **محمد بنيس**" : ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب–مقاربة بنيوية تكوينية– ، حيث اشتغل على دراسة نماذج شعرية بالاستناد إلى فكرة رؤيا

[1] مرسلي عبد السلام ،واقع الخطاب السيميائي في النقد المغاربي،رسالة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس، 2015 ، ص: 23-24 .

[2] المرتجى أنور ، سيميائية النص الأدبي ، ص: 97 .

العالم[1]، فقد ارتكز "بنيس" في هذه الدراسة على منهجية " **لوسيان غولدمان**" على نحو مباشر ، وهي تقوم كما قدمها "غولدمان" على أن بنية العمل الأدبي ما هي إلا انعكاس للبنية الذهنية الخاصة بفئة اجتماعية ما ، وهذا يحتم وجود علاقة جوهرية بين الحياة الاجتماعية و الإبداع الأدبي ، لا من جهة المضمون ، و إنما من خلال استيعاب البنية الدالة في العمل الأدبي ، ثم إدخالها في بنية أوسع كالبنية الذهنية للفئة الاجتماعية ، وهو ما يدعوه بعملية التفسير التي تتلو فهم النصوص[2].إضافة إلى "بنيس" نجد كل من " **حميد الحميداني**" الذي طبق هذا المنهج على نصوص روائية مغربية ، والناقد "محمد برادة" و "نجيب العوفي " و " الطاهر لبيب" ، فكل طبق هذا المنهج وفقا لحيثيات المنهج و أصوله .

من خلال ما سبق ذكره فإن المتأمل للنقد في المغرب العربي يجد أنه قد وسمته محطات مضيئة ، شكلت منعطفات كان لها الأثر البالغ في تحولاته، إلا أن هذا لا يمنع من وجود بعض المآخذ عليه ، فكل من النقد والأدب لازال بحاجة إلى المزيد من الوقت والتجربة ليخرجنا من دائرة الغموض والفوضى ، إلى دائرة الوضوح والنضج ، وبخاصة النقد الأدبي الجزائري الذي يعود ضعفه إلى محدودية الثقافة الأدبية النقدية ، وبخاصة ما تعلق منها بالتيارات الأدبية والمناهج النقدية ، فبعد الاستقلال يكاد يتفق جل النقاد الدارسين على ضعف الحركة النقدية في العشرينية الأولى ، ويقول "**عبد الله الركيبي** " في هذا الصدد: " من المشاكل التي تعترض النقد عندنا أن الفرد الجزائري حساس من النقد بوجه عام ، وهذا ما يفسر تأخر النقد عندنا ، خاصة في مجال الأدب ، فإن كان الفرد العادي لا يحب النقد فما بالك

[1] ينظر : فضل صلاح ، مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة ط: 01 ، 2002 ، ص: 61 .

[2] عبابنة سامي ، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث ، عالم الكتب الحديث ، ط: 01 ، 2004 ، ط:2. 2010 ،الأردن ، ص:230-231 .

بالأديب الذي يتمتع بفرط من الحساسية ، فبعض الأدباء لا ينظرون للنقد على أنه عامل يساعدهم على التطور ، و إنما ينظرون إليه على أنه هدم لملكاتهم وقدراتهم الأدبية ، لذلك لم يتطوروا إطلاقا ، وأصبح أدبهم أدب مناسبات وظروف".[1]

غير أن هذا الوضع لم يبق على حاله ، فقد عرفت الحركة ظهور نشاط أدبي ونقدي كانت نواته الطلبة الوافدين بعد مزاولتهم للدراسة في الخارج، أمثال " **أبو القاسم سعد الله – عبد الله الركيبي – محمد مصايف .... وغيرهم** ".

وقد توزعت جهود النقاد في هذه الفترة على تقديم بحوث ودراسات جامعية وكتابات نقدية متفرقة في الصحف والجرائد الوطنية ، حيث برزت هذه الكتابات النقدية كأعمال أكاديمية ، أبرزها ما قدمه " **عبد الله بن قرين**" بعنوان " **النقد الأدبي في الجزائر**" (1830-1982) ، كذلك قدم "**يوسف وغليسي** " مخطوطا بعنوان: " **إشكالية المنهج والمصطلح في تجربة عبد المالك مرتاض النقدية**" .. وغيرها من الأبحاث والدراسات التي نشرت في الصحف الوطنية ' الشعب – الجيش – المنتصر).[2]

أما في المغرب فقد ظهرت نخبة من المفكرين والنقاد الذين أرسوا معالم التحولات للنقد بفضل مجهوداتهم العلمية ، وعلى رأسهم الناقد والمفكر المغربي " **محمد مفتاح**" ، هذا الأخير الذي أزهر الحركة النقدية المغاربية ، وصاحب مشروع فكري بحت .

[1] سايحي أحمد ، النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس،سيدي بلعباس، 2017 ، ص: 8-9 .

[2] ناصر محمد ، المقالة الصحفية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1978 ، ص : 06 .

والسؤال الذي نطرحه هنا : كيف أسهم هذا الناقد في تسييره للحركة النقدية المغاربية في سبيل علمنة منهجه النقدي ؟

الفصل الأول

« منهاجية محمد مفتاح الشمولية »

- دراسات محمد مفتاح ما قبل التشابه والاختلاف
- الخلفيات العلمية لمشروع محمد مفتاح
- مفهوم المنهاجية الشمولية عند محمد مفتاح

المبحث الأول

دراسات محمد مفتاح ما قبل التشابه و الاختلاف

تطورت الحركة النقدية في بلاد العرب ، إذ كان للمفكرين والنقاد المغاربة دور في ذلك ، ونختص بالذكر الناقد المغربي " محمد مفتاح" الذي استطاع خلال ثلاثة عقود من الممارسة النقدية والبحث الجاد ، أن ينتج نسقا معرفيا متكاملا قوامه النقد الموضوعي الحاد ، الذي يهدف إلى مفهوم النص بصفة خاصة ومفهوم الأدب بصفة عامة ، من خلال مقترحاته و أعماله النقدية الطموحة التي شغلت اهتمام جل النقاد [1].من هنا نتطرق إلى طرح الإشكال التالي :

-كيف ساهم " محمد مفتاح" في تحديث الفعل النقدي العربي ؟ -وفيم تميزت أعماله عن غيرها من الأعمال النقدية الأخرى ؟

تمثل الفعل النقدي عند "محمد مفتاح" في خلق تصورات جديدة لظاهرة النصوص والخطابات أو الظواهر الأدبية والفنية والفكرية ، مما تطلب شروطا تاريخية و اجتماعية وعلمية تساعد على بلورته و إعطائه حظوظ التحقيق ، ولهذا فإن الفعل النقدي يتطلب في إنجازه وصفا تاريخيا وقصديا[2]، قد كان همه كيفية قراءة النص و استيعابه وتأويله ، وبهذا فهو يهدف إلى محاولة صياغة نظرية لمعالجة النص العربي، قديمه وحديثه ، شعره ونثره، مستعينا بالمكتسبات العلمية العالمية ليصير لنا علم للنصوص مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الثقافة القومية وتفرد النص وتميزه داخل الثقافة وداخل الجنس الأدبي نفسه.[3]

كما يعتبر الناقد المغربي "محمد مفتاح" أنموذجا حيا للناقد العربي الحداثي الذي استطاع أن يستخدم جملة من المفاهيم والنظريات والمناهج العلمية التي تسهم وبشكل كبير في الاستثمار عمليا في قراءة النص الأدبي العربي بغض النظر عن جنسه والزمن الذي ينتمي إليه . و الكاتب "محمد مفتاح" يعتبر صاحب مشروع نقدي نلمسه من خلال إنتاجاته ودراساته التي تتداخل وتتقاطع فيما بينها ، مما يدل على أن للكاتب مشروعا عاما ضمن أسئلته الأساسية و إشكالاته الكبرى في مجموع أعماله الأحد عشر الصادرة منذ الثمانينات [4]،من بين هذه الدراسات نذكر :

---

[1] توام عبد الله ،إسهامات محمد مفتاح النقدية في تحديث الفعل النقدي العربي،مجلة أدبيات، مجلد 01، ع 01 ،2019 ،ص : 21

[2] المرجع نفسه . ص: 21 .

[3] المرجع نفسه . ص: 22 .

[4] ينظر : العزاوي أبو بكر ، النص من القراءة إلى التنظير لمحمد مفتاح، جريدة الشرق الأوسط ،142. عدد 8123 ،الرباط .

- في سيمياء الشعر القديم.دراسة نظرية وتطبيقية.دار الثقافة. الدار البيضاء. 1982 .
- تحليل الخطاب و استراتيجية التناص. المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء .1985 .
- دينامية النص –تنظير و إنجاز- المركز الثقافي العربي . 1987 .
- مجهول البيان . دار توبقال . الدار البيضاء . 1990 .
- التلقي والتأويل –مقاربة نسقية-المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. 1994 .

كما نجد أن كتابه " سيمياء الشعر القديم" قد خرج من صلب أول عمل أكاديمي قام به ، وهو رسالته الجامعية " نحو التصوف في الغرب الإسلامي " ، وقد أشار "محمد مفتاح" على ذلك في بداية كتابه بقوله : " قد افترضنا سابقا أن الدعوة إلى الجهاد و الاتحاد كانت أكبر شاغل للأندلسيين ... وقد قلنا أن هذه الدعوة صيغت شعرا ونثرا .. وقد برهنا على هذه الفرضية من خلال الكتابة الصوفية وسنبرهن الآن عليها من خلال الشعر"،[1] كما وقد نزع الباحث إلى القراءة المتعددة والمركبة في ضوء " نونية أبي البقاء الرندي" ، محاولا المزاوجة بين عناصر تراثية وأخرى شعرية سيميائية مستفيدا من آراء دارسين عرب و أجانب .

و لإعطاء المعالجة قدرها الفكري في التراث العربي ، وقف في القسم الأول على مجموعة من المعطيات الأولية ، دارسا من خلالها القصيدة ومتفهما وضعها في بيئتها وفي زمانها قبل أن يحللها وفق العناصر التالية :

- دراسة الشخصية باعتبار الشاعر لم يكن بمعزل عن أحداث عصره .
- دراسة ظرف القصيدة ، ومن خلال تلمس المناسبة من عدة مصادر .
- دراسة حياة القصيدة مع الموازنة بين روايتين" الأزهار الرياض –الذخيرة الألسنية" ، قبل أن يرجع إحدى الروايتين .[2]

[1] توام عبد الله ، إسهامات محمد مفتاح النقدية ،ص: 24 .

[2] د.بوخاتم مولاي علي ،منهجيات محمد مفتاح /السيميوطيقا وصيرورتها، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، ع01 /1426 – 2005 ، مكتبة الرشاد ،الجزائر ، ص: 166 .

أما فيما يخص كتابه " تحليل الخطاب الشعري" فقد أجاب من خلاله على أسئلة سابقة كان قد طرحها في كتابه الأول ، حيث استعرض نظريات لسانية وسيميائية ، وقد تبنى جانبا منها للكشف عن فرضياته و الإجابة عن الأسئلة التي طرحها سابقا من خلال تحليله للقصيدة الأندلسية لـ"ابن عبدون" ، فقد كان تحليله في ضوء منهج سيميائي مركب ، مستمدا مفاهيم النقد السيميولوجي من مدارس عديدة وأعلام مشهورين أبرزهم " قريماس – ريفاتير – جاكبسون "... وغيرهم .[1]

لم يتوقف "محمد مفتاح هنا بل واصل عمله في كتاب "دينامية النص" فنجده قد وسع دراسته ليجعل جانبها النظري انفتاحا على نظريات جديدة لسانية وسيميائية وبخاصة العلمية منها : الفيزيائية والبيولوجية والرياضية والمعلوماتية ، وقد اشتمل جانبها التطبيقي على خطابات مختلفة ومتنوعة، وبهذا يكون قد وسع دائرة النظر .[2] كما وقد حاول "مفتاح" الجمع بين التراث والحداثة ، وبين التنظير والممارسة التطبيقية ، ساعيا إلى تنويع طبيعة النص على مستوى جنسه الأدبي ، ومن ثم الجمع بين قراءة النص الشعري والنص الصوفي والنص القصصي ، ثم النص القرآني بالتدريج.على أن الدينامية هي جوهر الأشكال في هذه الممارسة النقدية التحليلية لما تحويه من قوانين ونظريات متعددة ، التي على أساسها ينهض التراث النقدي العربي ، وهي التي تؤسس لبنة نظرية عربية حديثة ، على اعتبار أن الخطاب لا يخلو من قيمة بعيدا عن هذا المفهوم ، لأن الجمل داخله هي امتداد لما سبقها ولما قبلها ، والنص ينبني على عناصر مثل البساطة والتعقيد والسكون والدينامية ، والتوازن واللاتوازن ،الانفتاح والانغلاق، الاستقرار والتحول .[3]

أما كتابه "مجهول البيان" فقد وقف عليه وقفة تأملية وتدقيقية لأعماله السابقة ، حيث وسع من دائرة عمله النظري والتطبيقي ، إذ عمد إلى معالجة المسائل البلاغية وخاصة في مجال الاستعارة ، وذلك لإدراك دور الاستعارة في خلق النظرية وفي تصويغها وفي الربط بين عناصر الكون المهيمنة عليه وضمان

[1] المرجع نفسه ،ص: 169 .

[2] توام عبد الله ،إسهامات محمد مفتاح النقدية ،ص: 25 .

[3] المرجع السابق ،ص: 172-173 .

العيش فيه ، أو في خلق الأوهام وقلب الحقائق . وبهذا يكون هذا الكتاب استمرارا وتدقيقا وتوسيعا للممارسة النقدية ،[1] فقد عمل هذا الكتاب على طرح المفاهيم وتقديم التصورات الكفيلة بإعادة النظر في أسس البلاغة العربية القديمة.[2]

ويستمر زخم المفاهيم التي تقوم بتدقيق المقاصد المعرفية في كتبه اللاحقة ، مثل كتاب "التلقي و التأويل" ، وهذا الكتاب هو مقاربة نسقية ليعمق البحث في بعض القضايا التي طرحها في كتاب "مجهول البيان" ويقول في مفتتح كتابه : " هذا الكتاب تعميق للبحث في المسائل التي طرحناها في : مجهول البيان ، فقد أثرنا هناك مسألة علاقة الاستعارة والكتابة والمجاز بالمنطق الصوري ، ومسألة العلاقة بين الاستعارة وبين قياس التمثيل ومسألة التأويل وحدوده.[3] ليأتي بعد " التلقي والتأويل كتاب " التشابه و الاختلاف" نحو منهاجية شمولية كتكملة لما قبله ، هذا الكتاب الذي ماهو إلا توضيح لما غمض على القراء من الخيوط الرابطة بين أجزاء التلقي والتأويل [4].

يقول "مفتاح " في مقدمته : " تساءل كثير من قراء كتابنا " التلقي والتأويل —مقاربة نسقية" عن ماهية مقاربته ومكوناتها و أبعادها وغاياتها ، وعن سر إثبات العلاقة بين مختلف العلوم أ صيلها ودخيلها ، وعن درجات ارتباطها بالأشكال التي توخى الكتاب حله و الإجابة عنه ، ومع ورود إشارات في الكتاب إلا أنها لم تشف غليل القراء الذين يريدون أن يتعرفوا على الخلفيات التي كانت خلف تأليفه

[1] توام عبد الله ،إسهامات محمد مفتاح النقدية في تحديث الفعل النقدي العربي، ص: 25 .

[2] محفوظ عبد اللطيف ،جمال بندحمان،محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح،منشورات الاختلاف،الدار العربية للعلوم ،ط1،2009 بيروت،ص:9

[3] المرجع السابق ،ص: 25 .

[4] دراف زينب ،تجليات المنهج السيميائي في أعمال مفتاح النقدية،مذكرة ماستر، المشرف:محمد بوعلاوي جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2005 ،ص: 7 .

وكانت السبب القريب والبعيد لوجوده ، لذلك تحتم علينا أن نكشف الغطاء عن تلك الخلفيات بذكر بعض المبادئ وتوضيح بعض المفاهيم والمرامي من تصنيف العلوم وترتيبها وتدريجها .[1]من خلال هذا نستنتج أن كل دراسة أو مؤلف من مؤلفات محمد مفتاح ما هي إلا تكملة لسابقتها وتدقيق لها ، ذلك أن مشروع " محمد مفتاح" متسلسل المراحل ، مترابط الحلقات بحيث يعد اللاحق فيه تعميقا وتوسعة للسابق ،كما وقد لقد تميزت دراسات " محمد مفتاح" بالصرامة العلمية والدقة الموضوعية في توظيفه وتبنيه لجل المصطلحات والمفاهيم،ولعل أبرز المبادئ التي أُجملت في مشروعه هذا اختزالها في :

01/ **مبدأ الاستمرار المنظم** : إذ أن أعمال "محمد مفتاح" يتوالى ظهورها بوتيرة منتظمة دالة على السير المنتظم لعمله .

02/ **مبدأ الجمع بين الممارسة النظرية والممارسة التطبيقية** : وهذا ثابت ومنهجي بين جميع المؤلفات ، إذ يكشف في الشق النظري عن مرجعياته وفي الشق التطبيقي يختبر فرضياته .

03/ **مبدأ تناسل المشروع ونموه** ، كأن أعماله يخرج واحدها من صلب الآخر .

03/ **القراءة المضاءة** : أي المراوحة بين أحد النظريات الأجنبية والتراث العربي الإسلامي .

05/ **الانتقاء والترجيح** : أي انتقاء ما هو جوهري في مختلف النظريات وترجيح عناصر منها على أخرى بما يتناسب وطبيعة الموضوع المدروس.

[1] توام عبد الله ، إسهامات محمد مفتاح النقدية في تحديث الفعل النقدي العربي، ص:25 .

06/ **تعميق النظر باستمرار**: إنه مشروع لا يكف عن النظر و إعادة النظر في أدواته ومفاهيمه ومنهاجه ، أملا في توسيعه ليشمل خطابات مختلفة ومتنوعة ، وتحقيقا لفرضياته والبرهنة عليها.[1]

ولكي لا يتوه القارئ في سيرورة البحث هذه سنتطرق إلى تقديم مجموعة من خصوصيات التجربة النقية لمحمد مفتاح ، والتي تتلخص في السمات التالية :

- إن منهجية وتجربة "محمد مفتاح" تمتاز بطابعها المركب سواء على مستوى الظواهر التي يتم الاشتغال عليها ، أم على مستوى المناهج التي يتم التعامل معها ، حيث يحضر الخطاب الديني إلى جانب الخطاب الشعري والفلسفي والسردي والبلاغي والموسيقي ... مثلما تحضر الدراسات التاريخية و الأنثروبولوجية والسيميائية والتداولية .... ورغم وضوح البعد التركيبي الذي غالبا ما تتهدده سمات التوفيقية، تظل كتابات " محمد مفتاح" تركيبية عارفة بشروطها العلمية واعية ومراعية لطبيعة الإرغامات التي يتطلبها التركيب بين مرجعيات مختلفة ، لذلك فإن هذا التركيب يكون دوما محكوما بوحدة الآفاق .
- إن ما يميز تجربته هو الابتعاد الكلي للتجربة عن الاستعارة المرتحلة للمفاهيم والتصورات وتفعيلها دونما إفضائها للتمحيص النقدي ، وعلى خلاف ذلك تعمل كل دراسة على أن تكون مؤسسة على خلفيات فلسفية و اتجاهات فكرية ، وعلى أهداف ومقاصد واضحة ومعللة ابستيمولوجيا."[2]
- كما تمتاز بقراءتها للتراث العربي في ضوء المناهج الحديثة وتجريد مبادئ ذات طابع شمولي قادرة على تحليل مختلف الظواهر والنصوص ، لذلك نجد حضورا للبنيوية والشكلانية والسيميائيات الغريماسية والبورسية ، مثلما نجد نظرية التلقي والذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي ونظريات التأويل المختلفة.

---

[1] دراف زينب ، تجليات المنهج السيميائي في أعمال محمد مفتاح ، ص: 07 .

[2] محفوظ عبد اللطيف ، بندحمان جمال ، محمد مفتاح المشروع النقدي. ص: 10 .

تتضمن كتابات "محمد مفتاح " مجموعة من الافتراضات المفتوحة التي تأتي في سياق تناول هذه الظاهرة أو تلك ، ووجود هذه الافتراضات المفتوحة يجعلنا أمام كتابة موضوعية تقر بتأجيل القضايا التي لم تستطع الآلة المنهجية حلها ، وتتركها أمام قارئ ضمني له مشروعية القراءة و الاجتهاد ، أي أن هذه الكتابة لا تحتكر الأحكام ولا تلزم الآخر بها .[1] كتابات "محمد مفتاح" أو دراساته هذه –مما لا شك فيه– أنها لم تأت من العدم ، وإنما كان منبعها الأصيل خلفيات علمية استوحى منها "محمد مفتاح" منطلقاته و آلياته النظرية والتطبيقية .

ففيم تمثلت إذن هذه الخلفيات ؟؟

المبحث الثاني

[1] ينظر : محفوظ عبد [illegible] -12-13 .

الخلفيات العلمية لمشروع "محمد مفتاح"

سطر "محمد مفتاح" منهجه النقدي بناء على أهم النظريات والخلفيات الابستيمولوجية وأسسها العلمية ، فقد سعى إلى سبيل علمنة منهجه أكثر ، محاولا الجمع بين التنظير والممارسة التطبيقية، ومما لا شك فيه أن المتتبع لفكر الباحث يسجل ويكتشف أن كتاباته لا تتخذ منحى أحاديا، فهو قد تعرض للبحث في الأسس العلمية لخطابه النقدي من منظور إشكالي بالرجوع إلى مفاهيم في الفلسفة والبيولوجيا والفيزياء ، و إلى مقولات المنطق والرياضيات ، و اعتمد على نظريات لسانية ، فمشروع "محمد مفتاح"

هو نموذج تأسيسي لخطاب معرفي مهموم بفكرة الإجرائية والطابع النسقي المنفتح على مرجعيات متعددة و أنساق معرفية متشابكة بين بنيوي وسيميائي وتداولي وتفكيكي وتأويلي،[1] كما تناول الخطاب الشعري والسردي والموسيقي والفلسفي والتاريخي و استمدت مرجعيتها من أطر نظرية متعددة مثل : نظرية الذكاء الاصطناعي ، علم النفس المعرفي.[2]

إن سعي "محمد مفتاح" هذا جعلنا نقف عند أهم هذه التيارات بمختلف توجهاتها والتي غرف منها آلياته و إجراءاته وهي على النحو التالي :

أ-الخلفية التراثية :

صحيح أن الناقد المغربي "محمد مفتاح" ناقد حداثي ومعاصر استند إلى جل النظريات العلمية الابستيمولوجية الحديثة في كتاباته ، إلا أن هذا لا يعني أنه مهمل للتراث ، فالتراث يعتبر أحد المصادر الهامة التي غرف منها "محمد مفتاح" في التأسيس لمنهجه النقدي الضخم ، وقد صرح بذلك مرارا في كتاباته ومن ذلك قوله : "لن نحاول أن نتجاوز ما تركه النقاد المسلمون من معايير لصياغة الشعر وفهمه إلى النظريات الحديثة في تحليل الشعر ، لأن مثل هذا التجاوز يجعلنا نبخس مجهود القدماء في التنظير للنشاط الشعري العربي صياغة وفهما ، فقد تغنينا بعض آرائهم عن كد الذهن لاختراع مفاهيم جديدة وتقديمها للناس على أنها من بنات أفكارنا ، في حين أنها من بطون كتبهم، فاستغلال ما يصلح إذن من آراء القدماء فيه وفاء للتاريخ وتوفير لجهود قد تبذل هدرا ، ومعاصرة محتوية للصالح من التراث."[3]

[1] زياني لبية،قيطون أحمد ،الإجراء النقدي في كتابات "محمد مفتاح" بين النسقية والمقصدية ،مج:07 ، ع 02 ،2019 ،ص: 128

[2] محفوظ عبد اللطيف ، بندحمان جمال ،محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح،ص: 19 .

[3] مفتاح رندة ،المنهج النقدي عند محمد مفتاح من خلال كتابه " في سيمياء الشعر القديم"،مذكرة ماجستير،كلية الآداب واللغات،

إن الرؤية التراثية يمكن أن نحددها من خلال تلك الدراسات التي أنجزها حول بعض كتب التراث مثل:" منهاج البلغاء وسراج الأدباء لـ: حازم القرطجني ، الوافي في نظم القوافي لـ: أبي البقاء الرندي ، الخصائص لـ : ابن جني .... وغيرها[1]

من هنا نستنتج أن الناقد الفذ هو ذلك الناقد الذي يرجع في مساراته النقدية إلى تراثه وتراث سالفيه ، كما يرجع إلى سياقات عصره الراهن ، فهو بهذا يتبنى إستراتيجية المزاوجة تجعل منه يملك ترسانة مهمة على الساحة النقدية .

ب–الخلفية الحداثية :

استفاد "محمد مفتاح" بالكثير من إجراءات البنيوية بإستراتيجية مرتبطة أساسا بتركيب منهجي وخصوصية ثقافية[2]، هذه البنيوية التي ظهرت –ولعلها مازالت –كمنهجية لها إيحاءاتها الأيديولوجية بما أنها تسعى لأن تكون منهجية شاملة توحد جميع العلوم في نظام إيماني جديد من شأنه أن يفسر علميا الظواهر الإنسانية كافة ، علمية كانت أو غير علمية [3]، ومن النقاد المعاصرين لـ " محمد مفتاح" الذين تبنوا منطلقات البنيوية و استمدوا إجراءاتهم منها نجد كل من:خالدة سعيد ،يمنى العيد، سعيد علوش ،جابر عصفور،حميد الحميداني،سعيد يقطين .. وغيرهم .

جامعة المسيلة،تحت إشراف : حضري جمال ،ص: 20 .

[1] ينظر : المرجع نفسه ، ص: 20 .

[2] حمدوش إيمان ،المصطلح النقدي عند محمد مفتاح،مذكرة ماستر في اللغة العربية ،تحت إشراف : محمد الصالح خرفي،جامعة محمد الصديق بن يحي ،2016 ، ص: 65 .

[3] الرويلي ميجان ،سعد البازعي ،دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب ،ط:03 ، 2002 ،ص: 67-68

ينظر "محمد مفتاح" إلى البنيوية بأسلوبين : البنيوية السكونية والبنيوية الدينامية ، التي ترى أن النص ينمو كما ينمو الكائن الحي ويتم ضمن تفاعل نصي اجتماعي ينمو بحسب التضاد والتناقض على المستوى العميق ، ولا يراه منغلقا إذ يتفاعل اجتماعيا وعلى هذا الأساس يربطه بثلاثة عناصر هي : المتكلم والمخاطب ومقتضيات الأحوال .[1]

ومن مسلمات احتكام الناقد " محمد مفتاح" إلى الاتجاه البنيوي هو استخدامه لبعض المفاهيم الإجرائية البنيوية في تحليل الخطاب مثل : المعجم والمقصدية [2]، هذه الأخيرة عبارة عن إجراء نقدي بارز في كتابات "مفتاح " النقدية ، فهو بالإضافة إلى عناصر التحليل اللساني الصوتية والتركيبية الدلالية يتبنى المستوى الدلالي ويبرز من خلاله قصدية النص والمؤلف ، وقد ناقش هذه المسألة في مقامات متباينة تعكس استيعابه لهذا المفهوم .[3] كذلك استخدامه لمفاهيم التشاكل و الاستعارة ، مستفيدا من كبار اللسانيين الأوروبيين والفرنسيين بوجه خاص، كما تأثر بكبار الدارسين الشكلانيين أمثال : "رومان جاكبسون" لاسيما في مجال الاهتمام بالمادة الصوتية ضمن مؤلفه " محاولات في اللسانيات العامة"، مؤكدا ذلك بقوله : "إن محاولتنا تدخل ضمن نظرية الشعرية التي لها مسلماتها وفروضها ونظرياتها كما نجد عند **ياكبسون ولوتمان وجان كوهن**، ومع اختلافهم فإنهم يشتركون جميعا في محاولتهم صياغة مبادئ عامة للشعر."[4]

[1] السالكي عبد الحق ، نحو تحديد لمفهوم البنية في الأدب" بنية التوتر نموذجا"،مجلة المثقف،ع5430 ،2002 ، ص: 38 .
[2] مفتاح رندة ، المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 22 .
[3] زياني لبية ، الإجراء النقدي في كتابات محمد مفتاح ، ص: 131 .
[4] مفتاح رندة ، المنهج النقدي عند محمد مفتاح ،ص: 22 .

كذلك من بين الخلفيات العلمية لمشروع " محمد مفتاح" النقدي نجد البنيوية التكوينية، ذلك التوجه النقدي الذي حاول أن يبلور رؤية دقيقة تساعد القارئ على فهم وتفسير الأدب في ضوء منهج يحاول أن يجمع بين مختلف العناصر المشكلة للنصوص،سواء كانت هذه العناصر بنيوية داخلية أم عناصر بنيوية خارجية ترتبط بالحياة الاجتماعية انطلاقا من مقولة أن اللغة وعاء يستقطب الحياة الاجتماعية بجميع مكوناتها، سواء كانت هذه الحياة واقعية معيشة أم متخيلة.[1] إنها تسعى للتوفيق بين طروحات البنيوية بصيغتها الشكلانية وبأسس الفكر الماركسي الجدلي،التي أسهم في صياغتها وبلورة فكرها الفرنسي الروماني الأصل "**لوسيان غولدمان**" المتأثر بأفكار أستاذه "**جورج لوكاتش**"[2]، هي منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي و الاقتصادي الذي سبق تكوينه .[3]

إن هذه البنيوية التكوينية لم يصرح مفتاح بأنه يشتغل بها و أنه بعيد عن فلسفة هذا المنهج ، إلا أنه من خلال مقصديته وبإدماج النص في سياقه العام لا يبقى بنيويا فقط ولكنه يخرج إلى شيء من التكوينية ولو من خلال نظرة مباشرة أو تفصيلية علائقية منطقية ، وهذا التراوح بين الاهتمام حينا بالبنية الشكلية وحينا بالدلالة والقصد ، جعله غير مستقر لا في البنيوية ولا في الاجتماعية ، ولا في منهج قديم ولا في منهج معين حديث ، فهو مرة يعمق التحليل ويهتم بمختلف المستويات ، ومرة يكتفي بنثر الأبيات التي تكون مقطعا أو تتضمن معنى أو موقفا.[4]

---

[1] عيلان عمر ، النقد العربي الجدي –مقاربة في نقد النقد– الدار العربية للعلوم، الجزائر ، ط01: 2010 ،ص: 187 .

[2] سامية حسنة ،البنيوية التكوينية في كتاب الرواية المغربية –الواقع الاجتماعي ،مذكرة ماستر ، إشراف : نورة بعيو ، جامعة مولود معمري ،تيزي وزو ،2017 ، ص: 17 .

[3] خلدون ريمة ، المشروع النقدي عند أحمد يوسف ،رسالة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ،2018 ،ص: 97 .

[4] بلقاسم محمد ،نظرية محمد مفتاح في تحليل الخطاب الشعري وتطبيقها ،مجلة الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة .ع06 2007 ،ص:49 .

بالإضافة إلى هذه الخلفيات نجد أن المطلع على مسارات " محمد مفتاح" وتحليلاته النقدية ووسائطها على المستويين النظري والمنهجي يلقي مصادره السيميائية تمثل مهمة أساسية ،نظرا لأن حركته في المجال الفكري لعبت ولم تزل تلعب دورا متعاظما ، مارس من خلالها تأثيرات فاعلة بممارساته النظرية والعلمية[1]. فالناقد " محمد مفتاح" دخل النقد السيميائي المعاصر محاولا الإخلاص لهذا المنهج والخروج عن الاتجاهات السياقية في هذا التحليل .ليهتم أساسا بالبناء الفني للعمل الأدبي الشعري بوجه خاص معتبرا أن النص الأدبي يتألف من مجموعة كبيرة من العناصر المتباينة ، وأنه لا تكمن فيه غاية خارجة محددة.

إن هذا المنهج الذي يبني عليه مفتاح تصوراته قد نشأ بين نهايات القرن 19 وبدايات القرن 20 يسمى : "السيميائية " حينا و " السيمولوجيا" حينا آخر ، بإسهام أمريكي و وأوروبي مشترك على يد العالم اللغوي السويسري " **دوسوسير**" ، والفيلسوف الأمريكي " **شارل سندرس بيرس**" ، فقد صار لزاما على أي باحث في تاريخ هذا الحقل المعرفي أن يستعيد شهادة ميلاد السيميولوجيا من إشارة "ديسوسير" الرائدة التي أوردها في محاضراته الألسنية العامة مبشرا بعلم جديد " ، يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية ، قد يشكل قسما من علم النفس الاجتماعي ، وإذن من علم الذهن ولا يمكن لأي مؤسسة سيميولوجية أن تتجاهل ذلك .."[2]

من هنا استفاد مفتاح من السيميائيات السردية ثم من سيميائيات "بيرس" و"غريماس" و"رولان بارت" و "امبرتو إيكو" و "جوليا كريستيفا" حيث يقول في هذا المقام : "إذا أردنا مثلا

[1] حمدوش إيمان ، المصطلح النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 77 .

[2] وغليسي يوسف ، مناهج النقد الأدبي ،دار جسور ، ط01 : 2007 ،الجزائر ،ص: 93-94 .

التركيب بين مناهج لنأخذ مثلا "غريماس" أن ثوابته المقصدية والمورفولوجية و استغلال المربع السيميائي الذي هو في حقيقة الأمر وسيلة عيانية هندسية لتوليد المفاهيم ،ونجد استغلال العنصر الهندسي كذلك عند نظرية الكوارث التي ناقشت أفكار "غريماس"".[1]والمستقرئ لكتبه السيميائية يجدها أكثر تأثرا بالحداثة الغربية ومتصلة بمصادرها اتصالا حميما بأعلامها ، يستسقي نظرياتهم ويناقش أفكارهم وفلسفتهم دون تحرج ولا مواراة ، ومواد كتبه صورة الإنتاج النظري المتماس مع الثقافة الغربية ونظرياتها المستمدة من مناخات متعددة ومن سياق ثقافي إلى آخر ومن تطور لآخر ومن مؤسسته المعرفية لأخرى.[2] من بين الخلفيات المفاهيمية كذلك نجد مفهوم "**الشعرية**" تلك اللبنة الأساسية للشعرية في نظرية من النظريات الحديثة التي ظهرت في الساحة الأدبية والنقدية العالمية وهي " امتداد كله للنقاد القدامى ورغبتهم في إرساء قواعد أدبية ونقدية تضاهي في دقتها قواعد ومعادلات علمية. وقد عدّ "جاكبسون" رائد الشعرية الحديثة بجهوده الكبيرة وآرائه الكثيرة حولها خصوصا بكتابه " اللسانيات والشعريات"[3], ويعد "محمد مفتاح" أبرز ممثلي هذا الاتجاه فقد استفاد بعض النماذج منها مساهمات "جاكبسون" في نظرية شعرية و"جان كوهين" وفي مرحلة لاحقة "ج.مولينو" و "طامين"اللذان أخذا مفهوم الشعرية القديم.[4] فـ" محمد مفتاح " يرى أن "جان كوهين" ينطلق دوما من مسلمة أن الشعر يقوم على المجاز وبخاصة الاستعارة ،

[1] مصباحي علي ،التجربة النقدية عند محمد مفتاح ، رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات،إشراف: الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر،باتنة، 2011 ، ص: 47 .

[2] حمدوش إيمان ،المصطلح النقدي عند محمد مفتاح،ص: 77 .

[3] حمودة بلال ، تلقي الخطاب ، ص: 48 .

[4] مفتاح رندة ، المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص:23 .

ومن ثم فإنه يقوم على خرق العادة اللغوية "الانزياح" و اقتصر على ما يسمى بالنظرية التفاعلية في الاستعارة وليست إلا إحدى النظريات فيها.[1]

بالإضافة إلى الشعرية قد غرف "محمد مفتاح" من تيار يعد من أهم التيارات النقدية ألا وهو " **التداولية**" والتي حددها "**شارل موريس**"، وحصرها ضمن مجال "السيميائية" وأسند إليها دراسة العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات ، وذلك بعدما بين أن تفاعل العلامات فيما بينها بشكل ما تسميه "علم التراكيب" ، فالتداولية إذن هي دراسة الجانب الاستعمالي للغة.[2] كما تعد التداولية مذهبا لسانيا يدرس علاقة التناص اللغوي لمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب ، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب دراسة تواصلية واضحة وناجحة ، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية.[3]

وعموما فالتداولية"درس لا يزال غزيرا حيويا منتجا يمد ساحة الدراسات اللغوية والمعرفية بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة ويقيم الروابط العلمية بين فروع علمية متعددة ، فمن أجل دراسة الأبعاد الاستعمالية للغة أصبح لزاما على الباحث الوعي بجوهر الخطاب التداولي و أبعاده المنهجية".

هذا ما جعل "مفتاح" يصف التداولية في منهجه التكاملي ، فقد اعتمد على كل من أعلامها " **شارل موريس**" وفلاسفة "**أكسفورد**" وعلى رأسهم "**أوستن**" [4]، وضمن هذا التيار استمد الباحث المقصدية من خلال بعض الكتب في اللغتين الانجليزية والفرنسية ،كما يعتقد الباحث "محمد مفتاح" أنه

---

[1] المرجع السابق ،ص: 49 .

[2] بلخير عمر ،مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية ، مجلة إنسانيات ، ع 14-15 ، 2001 ،ص: 102

[3] بن علي خلف الله، التداولية مقدمة عامة ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب،مج : 14، ع: 01 ،2017 ،ص: 223-224

[4] حمودة بلال ، تلقي الخطاب في النقد العربي الحديث،ص: 37 .

على الرغم من الانتقادات التي توجه للتداولية وبعض السلبيات التي تظهر عليها ، إلا أنه يرى أنها قدمت " دراسات مفيدة حول ظواهر لغوية هي من صميم الخطاب الأدبي ، كالأفعال الكلامية اللامباشرة ، وأسماء الأعلام والأوصاف المحددة و الاستعارة ، ووضعت مفاهيم إجرائية رغم اختزالها في غاية الأهمية مثل : المعنى الحرفي للجملة والمعنى المقالي والمقصدية والفعل الكلامي والفعل الكلامي الاجتماعي.[1]

كما يشير محمد مفتاح في تركيزه على الثوابت في خلفياته مثل " المنطق والرياضيات" ، فالمنطق الذي هو عند أرسطو : "آلة العلم وموضوعه الحقيقي هو العلم نفسه ، أو هو صورة العلم ، وهو عند ابن سينا " صناعة النظرية التي تعرفنا من أي صور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى برهانا ، ويعرفه "**الغزالي**" في نفس الصدد على أنه القانون الذي يميز صحيح الحد والقياس من غيره ، فيميز العلم اليقيني عما ليس يقينا وكأنه الميزان أو المعيار للعلوم كلها".

ويلاحظ على هذا التعريف أنه يستخدم كلمة "قانون" ، والمقصود بالقانون الآلة الصناعية النظرية، ثم وصف المنطق بالمعيارية ، أي معاني الصواب والخطأ[2]. فتعريف الغزالي هنا لا يختلف عن سابقيه .

ويعد المنطق من المعارف المحببة إلى قلب "محمد مفتاح" والأثيرة لديه ومدلولاته مبثوثة ليس فقط في كل كتبه بل في معظم فصوله تلك المؤلفات ومباحثها ، ويلاحظ أن ما يستثمر في هذا الحقل المعرفي في تلك المفاهيم والآليات التي تتقاطع مع سيميائية ودلالتها الشكلية ، إضافة إلى الكليات الخمس

[1] المرجع نفسه ، ص: 38 .

[2] بوعروري اليزيد ، مقياس المنطق التقليدي ،مطبوعة مقدمة للتاهيل الجامعي،قسم الفلسفة/كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد لامين دباغين ، سطيف ،2018 ،ص: 08 .

والمقولات العشرة، وهذه ليست على درجة واحدة من الفعالية والحضور ، فهناك المربع المنطقي السيميائي.[1]

كما ويؤكد "مفتاح" على وجود هذا المنطق وسيادته في كل التصورات والنظريات التي يتعامل معها ، وذلك في كتابه : " التلقي والتأويل"[2]، مؤكدا أن المناطقة والرياضيين العرب وبخاصة الشراح منهم كانوا قد وظفوا المنطق للترتيب والتهذيب فقط لا للاكتشافات ،ويشير "محمد مفتاح" إلى المنطق المتدرج الذي وظفه "ابن رشد"وهي العلائق الستة المعروفة ، ثم ينبه إلى أن "ابن رشد" لم يوظف المنطق الأرسطي ككل في الكتب الكلامية ، وإنما ركز على الوسيط المتردد بين الطرفين وعلى الطرف المحايد ، بهذا المنطق استطاع أن يحل المسائل المعرفية الاجتماعية والسياسية ، و اعتبرها من الظواهر أي بالتوفيق بين الأشياء والخروج بوسيط مشترك ، ولو وظف "ابن رشد" بعضا من المنطق الصوري الأرسطي –أي مبدأ الثالث المرفوع– لما توصل إلى النتائج نفسها .[3] أما الرياضيات فهي تشكل ركيزة مهمة وفاعلة في الحركة المنهاجية الشمولية عند " مفتاح" ، سواء أكان على صعيد التحليل الشعري أم على مستوى النقد النظري ، تنشطر هذه الفاعلية الرياضية إلى قسمين :

أصل معرفي يكون مصدرية ملزومة وحالة شكلية لازمة للأصل ، وحالة شكلية لازمة للأصل ، وهذه الحالة هي ما يمكن تبيانها ضمن الحركة الآلية للمنهاجية ، ومن يقرأ نتاج "محمد مفتاح"ويتتبع آلية منهاجيته فسيتضح له على نحو واضح وجلي اهتمامه بعلم الرياضيات و استئثاره ، فلا يوجد كتاب له لا

[1] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها الإشكالية في نقد النقد عند محمد مفتاح ،رسالة ماجستير ،،إشراف : فاخر صالح ميا جامعة تشرين،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2015 ، ص: 34-35 .

[2] ينظر : مفتاح رندة ،المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 46 .

[3] مفتاح رندة ،المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 46 .

يتطرق فيه إلى هذا العلم الحسن ، أو لا يستند إلى نتائج أبحاثه وترد هذه الحالة الازمنة للرياضيات على ثلاثة مستويات :

مستوى تنظيري فلسفي حيث يؤخذ بما هو ثابت ومستقر من قوانين ذات طابع شمولي تحيل على نظرية معرفية قائمة على تتبع الثوابت الرياضية المنجزة[1]، وهناك **مستوى مفهومي** تحضر فيه المفاهيم وتجيز الحقل النقدي و**مستوى سيميائي** تتفاعل فيه الإشارات والرموز الرياضية مع التراكيب والتآليف اللغوية النقدية ، هذا ما يجعل "محمد" يؤكد إنسانية علم الرياضيات وكونيته وأن مفاهيمه كلية متعالية [2]. فاعتمد "مفتاح" على علم الرياضيات سببه هو أنها علم يقيني ثابت ، بالإضافة إلى المنطق والرياضيات نجد حضور كل من علم الفيزياء والذكاء الاصطناعي-الكيمياء –الهندسة ، ف"محمد مفتاح" ناقد موسوعي استنبط آلياته و اجرائياته من جل النظريات العلمية باختلاف مبادئها ومنطلقاتها.

لقد طبق "محمد مفتاح" هذه الخلفيات العلمية في دراساته وفق منهاجية شمولية ، يؤكد من خلالها على ضرورة العدة العلمية والمنهاجية لمشروعه ، هذه العدة التي تبقى علما ورؤية فلسفية تتحدد من خلالها المفاهيم والآليات والغايات التي تميز طليعة تلك المنهاجية ، من هنا نطرح الإشكالية التالية :

- ما مفهوم المنهاجية الشمولية بصفة عامة؟
- وكيف تؤسس هذه المنهاجية الشمولية عند "محمد مفتاح"بصفة خاصة ؟

[1] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها الإشكالية في نقد النقد عند محمد مفتاح ، ص: 39 .
[2] المرجع نفسه ، ص:39-40 .

المبحث الثالث

مفهوم المنهاجية الشمولية عند "محمد مفتاح"

لا يمكننا التطرق إلى منهاجية "محمد مفتاح" الشمولية دون اللجوء إلى تعريف دقيق لمصطلح المنهاجية و مصطلح الشمولية .

المنهاجية في اللغة: جاء في "لسان العرب ": نَهْجٌ : طريق ، نَهْجٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ ، وهو النَّهْجُ ، والمِنْهَاجُ كَالْمَنْهَجِ ، وأَنْهَجَ الطَّرِيقَ وَضَحَ و اسْتَبَانَ وَصَارَ نَهْجًا وَاضِحًا بَيِّنًا [1]، كما ورد ذكرها أيضا في

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ن هـ ج ، دار صادر ، بيروت ، مج14 ، ص: 365 .

كتاب " العين" : نَهْجٌ طريق واسع واضح، و نَهَجْتُ الطريق بَيَّنْتُهُ و انْتَهَجْتُهُ: اسْتَبَنْتُهُ ، ونَهَجَ الطريق وَضَّحَهُ .[1]

وقد ورد هذا اللفظ أيضا في قوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[2]

المنهاج / المنهاجية :

لا فرق يذكر اصطلاحا بين المنهج و المنهاجية أو المنهاج والمنهجية، غير أن هناك تفاوت دلالي تضبطه اللغة على صعيد البنية العميقة، حيث الوجود بقوة معتمدا على الحرف المادي للمصدر الصناعي المتمثل شكلا وصوتا في الياء المشددة المفتوحة ، أما ضمن ضوابط اللغة فـ"منهاجية" تدل على الحركة الفاعلية المتأتية من لبوسها صيغة مصدر صناعي . إن المنهاج هو ميول الشيء ، والمنهاجية هي صورة الشيء ، إذ الأول يشير إلى الرسم المادي ، على حين يشير اللفظ الثاني إلى القيمة الذهنية المضافة إلى دلالة الأول عليه .[3]

أما مصطلح " الشمولية" في اللغة هي " العموم" ، يقال : شملهم الأمر يشملهم (ويشملهم ورد في الصحاح) إذا عمهم ، ويدل على دوران الشيء بالشيء ، وأخذه إياه من جميع جوانبه ، و أمر شامل أي هو عام .وشملت الشاة إذا جعلت لها شَمَالاً وهو وعاء كالكيس يوضع فيه الضرع ، وكذلك شَمَلْتُ

[1] الفراهدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين ،تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ج4 ، ط1 ،2003 ص: 270- 271 .

[2] سورة المائدة ، الآية 48 ، (رواية ورش عن نافع) .

[3] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها الإشكالية في نقد النقد عند محمد مفتاح ، ص: 02 .

النحلة إذا شَدَدْتُ عليها ، والشمل الاجتماع ، يقال : جمع الله شملهم ما تشتت من أمرهم وكذلك فرق الله شملهم أي ما تجمع من أمرهم .[1]

والشمولية في الاصطلاح هي مجموعة من الأسس النظرية يأخذ بها عدد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع ونقاد الأدب ، وتنهض هذه الأسس على فكرة مؤداها أن فهم ظاهرة أدبية أو ثقافية يتطلب دراسة وفهم الظواهر التي ترتبط بها بوجه عام [2]،كما تعني تلك الصفة في الأدب التي تعطيه دلالة ليست مقصورة على مكان معين ، ويمتلك العمل الأدبي تلك الصفة عندما يقدم انفعالات و أفعالا جوهرة كلية مشتركة بين كل القوى المتقدمة في جميع الحضارات ، لذلك يظل ذلك العمل حافلا بالمعنى إلى زمن غير محدد يرضي كل القوى الحية ويرضيها دائما،[3] ومهما تعددت التعريفات لمصطلح الشمولية إلا أنها لا تخرج عن معنى أو انطلاق واحد فهي كلها تتجمع في مبدأ **لاشيء يحصل من غير شيء** ، وتعكس مبدأ **كل شيء ينسجم مع شيء آخر وكل شيء يتصل بشيء آخر** .[4]

✍ المنهاجية الشمولية عند محمد مفتاح :

تعتمد المنهاجية الشمولية على رؤية للعالم أشمل ، وتؤكد هذه الرؤيا للعالم على أن الكون " انتظام" وهي قديمة وجديدة في آن واحد ، فهي قديمة من حيث أن جذورها تعود إلى التصورات الهندية والفيثاغورية والأفلاطونية والرواقية ، وبعض التيارات الصوفية والفلسفية والفكرية الإسلامية ، وهي جديدة من حيث إن كثيرا من تيارات الفكر الحديث والمعاصر العلمية والإنسانية والأدبية أعادت الحياة

[1] المرجع نفسه ،ص:02

[2] حجازي سمير سعيد ،قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ن دار الأفق العربية،ط01 ، 2001 ،القاهرة ، ص: 140 .

[3] إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ،المؤسسة العربية ن تونس، ط:01 ، 1986، ص: 220 .

[4] بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند محمد مفتاح ، مجلة علوم اللغة العربية ،مج: 14 ، 2022 ، ص: 464 .

إلى هذه الرؤية الشمولية للكون[1] ، لقد حدد "مفتاح" من ذلك مقولته هذه على الرؤيا التي شكلت منطلقا لمنهاجيته وهي رؤيا قديمة من حيث جذورها الفلسفية .

ومن خلال هذا نستوضح من الباحث نفسه مبعث اختياره لوصف الشمولية في التعريف بهذه الرؤية ، حيث يقابل بينها وبين الرؤيا المنطقية الأرسطية، إذ أكد أن الأبحاث التي أنجزتها النظريات السيميائية والبيولوجية والفيزيائية والفلسفية ضمن الشمولية يتبين له أنها بدأت تكتسح الرؤيا الذرية الجزئية التي هيمنت منذ عهد أرسطو إلى الآن ،[2] من خلال هذا يتبين أن الرؤيا التي اعتمدها الباحث "مفتاح" شمولية قياسا إلى الرؤية الأرسطية ذات الطبيعة الذرية الجزئية.

هكذا يسعى "مفتاح" إلى صياغة توصيف قيمي للرؤيا التي اختارها منطلقا بمنهاجيته ، حيث يضع حكمه ضمن صيغة ثنائية مقارنة(رؤيا شاملة كونية/رؤيا جزئية) تمنح بظاهرها المباشر والحرفي دلالة إيجابية مطلقة في الشمولية الكلية للرؤيا التي اعتمدها الباحث.[3]

تقوم الشمولية عند "مفتاح" على المقاربة النسقية سواء على مستوى التنظير أو على مستوى الإنجاز ، ومثل هذه الرؤيا جعلت "محمد مفتاح" ، باحثا متعدد الاختصاصات يدرك منذ البدء أن النقد الأدبي لم يفلح في تكوين نموذج خاص به ، لذلك ارتأى التنقل بين العلوم باحثا عن آليات نظرية ملائمة خاضعة باستمرار للابتكار والتطوير[4]، فلقد طبق الناقد "مفتاح" هذه المنهاجية في كتابي " التلقي والتأويل" و " التشابه و الاختلاف" ، فعرف بالمنهاجية الشمولية أو المنهاجية النسقية أو المنهاجية

[1] ينظر : المرجع نفسه ، ص464 .

[2] محفوظ عبد اللطيف ، دحمان جمال بن ،محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح،ص: 93-94 .

[3] محفوظ عبد اللطيف ، دحمان جمال بن ،محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح، ص:94.

[4] مفتاح رندة، المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 26 .

الماكروسكبية ، تكشف هذه المنهاجية الشمولية عن تصور الإنسان للإلمام بمجالات وميادين معرفية متعددة .

من هذا المنطلق اعتبرت منهاجية "محمد مفتاح" مشروعا نقديا مهما ولقيت رواجا في مسار تطوير النقد الأدبي بالعالم العربي بصفة عامة والمغرب بصفة ،خاصة لأنها تناولت قضايا تحليل النص وفق منهجية تقوم على أربعة محاور وهي :

- العمل التطبيقي الذي يقدم المفاهيم و الأدوات الإجرائية المميزة للنظريات المختلفة.
- العمل التطبيقي الذي يستلهم هذه النظريات في تحليل النصوص .
- الكشف عن الخلفيات الابستيمولوجية لهذه المفاهيم والنظريات.
- التنظير بتقديم اقتراحات نظرية على مستوى المفاهيم والنماذج.[1]

تقوم المنهاجية الشمولية عند محمد مفتاح على مجموعة من المبادئ والمفاهيم "وهو يؤكد على هذه المبادئ والمفاهيم الموظفة هي جوهر البحث العلمي المعاصر ، ولذلك فهي تنتقل في مجالات علمية متنوعة ، وتوظف بكيفيات مختلفة فيها، وقد شغلناها نحن في تحليل الخطاب وفي التأريخ للثقافة ، وقد يرى المختصون في الهندسة وفي الفيزياء وفي البيولوجيا وفي علم الاجتماع وفي التاريخ انزياحا عن الاستعمال القانوني لها في مجالاتها العلمية الأصلية، إلا أن ما يجب الإحتكام إليه في هذا الشأن هو إنتاجية المفهوم ومردوديته في المجال الذي وظف فيه."[2] ولعل من بين هذه المبادئ والمفاهيم الموظفة نجد: **التشابه– الاختلاف – الاستقرار – الدينامية – الموروثات – المحيط** . ليست في واقع الأمر إلا

[1] مفتاح رندة ، المنهج النقدي عند محمد مفتاح ، ص: 27 .

[2] محفوظ عبد اللطيف ، بندحمان جمال ، محمد مفتاح المشروع النقدي، ص: 103 .

تشكيلة أولى من جملة المفاهيم العديدة التي تنتمي إلى مجال المنهاجية الشمولية ، هذه الشمولية التي يظهر أن أفقها يتسع لكل المفاهيم والمبادئ.[1]

لقد طبق "محمد مفتاح" المنهاجية الشمولية وفق منهج نقدي جسد ممارساته و أدواته الإجرائية للتمكن من تحليل الظاهرة النقدية المدروسة . والسؤال الذي يطرح نفسه : ما مدى إمكانية "محمد مفتاح" نحت منهج نقدي بحت يتناسب ومفاهيم كتابه الذي نحن بصدد دراسته ألا وهو " **التشابه و الاختلاف**" ؟كذلك ما يزيدنا تساؤلا هو : " عن كيفية تطبيق "مفتاح" لمفاهيم التشابه و الاختلاف المعرفيين في ضوء المناهج النقدية ؟

[1] المرجع نفسه ، ص: 106 .

الفصل الثاني

« المنهج النقدي عند محمد مفتاح »

- في المنهج والمنهج النقدي .

- أهم المناهج المتبعة في كتاب "التشابه والاختلاف"

- التشابه و الاختلاف المعرفيين من منظور " محمد مفتاح"

المبحث الأول

✍ في المنهج والمنهج النقدي

إن اعتبار أي عملية نقدية ناجحة أولا لا يكون إلا إذا انبنت وفق منهج يؤطر رؤيتها ويجسد منطلقاتها ، من هنا كان لا بد لنا من تبيان مفهوم دقيق لهذا المصطلح ، كون لابد من الاستناد إليه في أي عملية نقدية ، والمنهج كما جاء في المعاجم والقواميس :

نهج : طريق ، نهج بين واضح وهو النهج ، ومَنْهَجَ الطريق : وضَّحَهُ ، والمنهاج : كالمنهج ، وفي التنزيل ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾[1] ، والمنهاج الطريق الواضح ، واستنهج الطريق : صار نهجا [2]، نهج لي الأمر : أوضحه ، وهو مستقيم المنهاج ، والمنهج الطريق أيضا والجمع : مناهج [3] ، من هنا يتبين إذن أن كل المعاجم تقريبا تُجمع على أن المنهج هو الطريق ، فهو تلك الوسيلة التي يندرج بها للوصول إلى هدف معين [4].

أما المنهج في الاصطلاح فقد تطرق إليه الكثير من النقاد والدارسين من بينهم : "عبد الغفار رشاد القصيبي" الذي يعرفه على أنه طريقة البحث ، أي الطريقة أو المسلك الذي يتخذه الباحث في المراحل المختلفة لعملية البحث ، وتوسيع بعض التعريفات من مفهوم المنهج ليشمل القواعد والأسس العلمية في البحث.[5]

---

[1] سورة المائدة ، الآية : 48 .

[2] ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، ج14 ، مادة (ن.هـ.ج) ، ص: 300 .

[3] أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة ، مج 05 ، دار الجيل ، بيروت ، مادة ن.هـ.ج) ، ص: 361 .

[4] فضل صلاح ، مناهج النقد المعاصر ، ميريت للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 : 2002 ، ص: 09 .

[5] حامدي صدام ، أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي ، مذكرة ماستر ، إشراف : حسين دحو ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2015 ، ص: 10 .

أما "يمنى العيد" فتقول عن المنهج : " ليس المنهج قالبا جاهزا في حرفيته وتفاصيله ، المنهج مفهوم أو مجموعة من المفاهيم ، ليس مجرد تطبيق بل هو إعادة أنتاج لها قابلة للتبلور والتميز ، وخاضعة في تبلورها وتميزها لعلاقتها بالموقع الفكري ، منه تمارس علاقاتها بموضوعها وبالموضعية الثقافية الاجتماعية التي تشكل حقل ممارستها"[1]، هذا المنهج قوامه الاستقراء ، ويتمثل في عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر و إجراء التجارب ، ثم وضع الفروض التي تحدد نوع الحقائق التي ينبغي ان يبحث عنها ، وتنتهي بمحاولة التحقق عن صدق الفروض أو بطلانها توصلا على وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر وتوحد العلاقات بينها [2].وهو بهذا طريقة يسير عليها الدارس بالترتيب ليصل إلى حقيقة موضوعه .

والمنهج عند " السيد البحراوي" مجموعة من الأسس المنهجية التي يتبناها دارس الأثر الأدبي بغية فهمه أو تحليله أو هما معا ، فالدارس أو الناقد بصفة خاصة يتوسل لدراسة موضوعه بجملة من الخطوات ، يتكئ فيها على جملة من المصطلحات الإجرائية يستمدها من أصول نظرية بحيث يتم التنسيق بين جوانب ثلاثة : الأصول النظرية للمنهج و أدواته الإجرائية والموضوع المدروس[3]، ينقسم هذا الأخير إلى قسمين : " عام وخاص " :

- **المعنى العام** : أي أنه لا سبيل لمعرفة مواضع العلوم إلا بالمنهج ، و إذا كان المنهج هو جملة الإجراءات التي تستخدمها فإن هذا هو ما يحدد المنهج بالمعنى العام .

- **المعنى الخاص** : عندما يكون المنهج على مثال العلوم وموضوع اشتغالها فإنه يجعل مثلها

[1] العيد يمنى ، في معرفة النص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،دط، 1983 ، ص: 129 .
[2] ثامر فاضل ، اللغة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، ط01 ، 1994 ، بيروت ، ص: 220 .
[3] البحراوي السيد ، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث ، دار شرقيات ، القاهرة ، ط01 ، 1993 ، ص: 111 .

خصوصية معناه ، وقد تعلم أن العلوم في كل شعبها و أقسامها تدور على أمرين : إما تجريبية و إما عقلانية ، كما نعلم كذلك أن المناهج التي تستخدمها هي على مثالها مفهومها ومتصورا ، ولذا فهي إما أن تكون مناهج تجريبية أم عقلانية ، والمتأمل في العلوم موضوعا وفلسفة يدرك ان هذين المنهجين قد تعاقبا تباعا على ميادين علمية متعددة من بينها اللسانيات ، فكان كل منهما في هذا الميدان اثر ظاهر في إنتاج معرفة لسانيته ، تميز بها من سواه ، بل استقل حتى شكل ضربا من القطيعة [1]، إضافة إلى ما سبق يمكننا القول بأن هذا المنهج قد ارتبط بحقل مهم ألا وهو "النقد" ، والسؤال المطروح هنا هو : فيم تكمن علاقة هذا المنهج بالنقد ؟

علاقة المنهج بالنقد :

إن صلة المنهج بالنقد يمكن إجمالها في :

-المنهج هو مجموعة القواعد و الأسس والعمليات التي تسعى إلى بلوغ هدف ما ، بينما النقد الذي هو جزء من الظاهرة الأدبية مرتبط بالنص الأدبي ، ومن أهدافه :"تحليل النص" ، كشف حقل الدلالات فيه ، إظهار قوانينه الداخلية ، إثارة هيكل البنية ، والوصول إلى ما تحمله البنية من مضمون ، ورؤية العلاقة بين هذا المضمون وما هو خارج النص. [2]

[1] عياشي منذر ، اللسانيات والحضارة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط01 ، 2013 ، اربد ، ص: 14-15 .

[2] خلفي حليمة ، إشكالية المنهج في تجربة محمد بنيس النقدية ، رسالة ماجستير ، إشراف ، حسان راشدي جامعة فرحات عباس ، سطيف ، 2011 ، ص: 18-19 .

إن النقد هو البحث عن حقيقة النص ، والبحث عن الحقيقة لا يصح أن يكون بلا منهج ، و أسس نظرية يقوم عليها هذا المنهج ، مضاف إلى ذلك موقف الناقد الإنساني ورغبته الجادة في البحث بصدق وموضوعية للبحث عن الحقيقة و لا شيء غيرها،[1]هذا ويضيف " محمد مصايف" أنه من الشروط الضرورية للنقد الواعي أن يعمل في إطار منهج محدد وغاية واضحة ، وهو ما لم نره إلا نادرا ، في السنوات الأخيرة في بلادنا ، والسبب في انحراف بعض النقاد عن جادة الطريق ، هو أنهم لم يحددوا منهجهم قبل تناول القصيدة او القصة ، والأهم في نظري هو تحديد المنهج قبل الممارسة [2]، فلا يمكن لأي ناقد التمرس على آليات نقده دون اللجوء إلى منهج يحدد طريقه .

من هنا يتبين لنا أن العلاقة بين النقد والمنهج هي علاقة تلازمية ضرورية ، فالنقد يقوم بالأساس على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ، ونجد مثالا في أن النقد العربي في نشأته كان ذوقيا محضا لا تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية ، مما جعله مسرفا في التعميم ، وهذا ما قاده إلى أهم عيوبه وهو فقدان المنهج ، ولم يصبح النقد منهجا إلا في القرن الرابع عند "الآدمي" و " القاضي الجرجاني " ، وعلى هذا الأساس يخرج "مندور " جهود العرب حتى لأواخر القرن الثالث الهجري من إطار النقد المنهجي "ابن سلام" (طبقات الشعراء)، و"ابن قتيبة"(الشعر والشعراء) ، وغيرهما هم مؤرخو أدب أكثر منهم نقادا [3].

[1] حامدي صدام ، أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي ، ص: 13 .

[2] مصايف محمد ، دراسات في النقد والأدب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص: 25 .

[3] بن مجاهد عمر ، محددات النقد الأدبي القديم عند العرب ، رسالة ماجستير ، إشراف : خضرة العابدي ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2014 ، ص: 33 .

إن كل نظرية تقوم على أسس وقواعد يجب إتباعها للوصول إلى الهدف ، فمثلا البنيوية تقوم على أسس ابستيمولوجية يجب مراعاتها أثناء عملية التحليل ، وعملية المراعاة هذه يقوم بها المنهج الذي يسعى على تطبيق هذه الأسس بالشكل الذي تتطلبه هذه النظرية المعرفية[1]، هذه العلاقة بين النقد والمنهج شكلت لنا ثنائية اصطلاحية مفهومية تعرف بما يسمى بـ" المنهج النقدي"، فما هو مفهومه إذن؟

المنهج النقدي :

ثمة من يرى أن المنهج النقدي في أحد وجوهه طرق إجرائية لمفهوم يراد منه التحول إلى منظومة ذات جدوى ، وقد أشير إلى مفهومين رئيسيين للمنهج : **الأول عام** يتعلق بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها ، وهذه الطبيعة الفكرية النقدية أسسها "ديكارت" على أساس أنها لا تقبل أي مسلمات قبل عرضها على العقل ، ومبدؤه في ذلك الشك للوصول إلى اليقين ، فرفض المسلمات إجرائيا وعدم تقبل إلا ما تصح البرهنة عليه كليا هو جوهر الفكر النقدي ، **والثاني خاص** ، يرتبط بالدراسة الأدبية وبطرق معالجة القضايا الأدبية ، والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها[2]، هذا **المنهج النقدي** عند "**يمنى العيد**" ينتمي إلى الإيديولوجيات والثقافات و الاتجاهات الفكرية والنظريات المعرفية ، غير أن جل هذه التيارات الأيديولوجية الثقافية التي تنتمي على هذه المناهج ، لا تنتمي إلى الثقافة العربية ، بل أقبل عليها النقاد العرب وطبقوها في قراءاتهم المختلفة على النصوص العربية، دون مراعاة لخصوصية وهوية هذه النصوص التي أصبحت أسيرة المناهج الغربية ، ولمرجعياتها التي

[1] خلفي حليمة ، إشكالية المنهج في تجربة محمد بنيس النقدية ، ص: 19 .

[2] الجرماني آراء عابد ، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، ط01 ، 2012 ص: 21 .

لها سياقاتها الثقافية التي أنتجت فيها [1]، من هنا يمكننا القول بأن **المنهج النقدي** ليس واحدا إنما متعدد تعدد الرؤية ، حيث أصبحنا نتحدث عن العديد من الرؤى التي تستطيع من خلالها قراءة النص الأدبي، ومن جملة هذه الرؤى نجد المنهج البنيوي ، السيميائي ... وغيرها من المناهج النقدية التي تعتمد **المنهج النقدي** الواحد ، أو القراءة المتعددة التي تعتمد أكثر من منهج نقدي[2].

في السياق ذاته يرى "**يوسف وغليسي**" بأن **المنهج النقدي** هو جملة الأساليب و الآليات الإجرائية الصادرة عن رؤية نظرية شاملة إلى الإبداع الأدبي ،والتي غالبا تنبثق عن أساس فلسفي أو فكري يستخدمها الناقد في تحليل النص وتفسيره بكيفية شاملة ،لا تتوقف فعاليتها على عتبة دراسة الجزء من الكل،وإنما تتجاوز ذلك إلى النص في صيغه الكاملة شكلا ومضمونا ،وفي انتمائه إلى أي جنس أدبي[3]، هذا وقد رهن "**عبد الله إبراهيم**" القراءة النقدية عنده في ركيزتين هما : الرؤية **والمنهج النقدي** حيث يقول: "تقوم أي قراءة نقدية بوصفها فعالية منشطة للنصوص الأدبية على ركيزتين أساسيتين هما : الرؤية التي يصدر عنها الناقد والمنهج الذي يتبعه لتحقيق الأهداف التي يتوخاها من قراءته ، فالرؤية عنده هي خلاصة الفهم الشامل للفاعلية الإبداعية ، أما **المنهج** فهو سلسلة العمليات المنظمة التي يهتدي بها الناقد ،وهو يباشر وصف النصوص الأدبية و تنشيطها و استنطاقها ويشترط أن يكون المنهج مستخلصا

[1] بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند محمد مفتاح ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، مج14 ، ع:01 ، 2002، ص:457 .

[2] خلفي خليفة ، إشكالية المنهج في تجربة محمد بنيس النقدية ، ص: 20 .

[3] المرجع نفسه ، ص: 20-21 .

من آفاق تلك الرؤية"[1]، نفهم من هذا أنه كما يجب للناقد أن ينطلق من منهج معين ، كذلك ينبغي أن تكون له رؤية واضحة ترسم له هدفه .

من هذا المنطلق قد تناول الكثير من النقاد هذا المنهج النقدي في دراساتهم وأبحاثهم وطبقوه فهما وتفسيرا ، كون **المنهج النقدي** يساعد الناقد على فك و كشف أغوار النص ، وبما أن التاريخ النقدي الجزائري يحفل بالكثير من الأسماء النقدية أمثال "عبد المالك مرتاض"، فإن للنقد المغربي كذلك نقاده وهم كثيرون ، ونذكر على سبيل المثال الناقد "**محمد مفتاح**" باعتبار انه أنموذج مهم في الدرس النقدي المعاصر بصفة عامة والمغربي بصفة خاصة ، فهذا الأخير قد اعتمد على منهج نقدي يجمع بين الممارسة والتنظير ، ولعل كتابه "**التشابه** و **الاختلاف**" خير دليل على ذلك المنهج النقدي الذي اتبعه في مؤلفه وهذا ما سنتطرق إليه بالشرح والتمحيص .

[1] خلفي حليمة ، إشكالية المنهج في تجربة محمد بنيس النقدية ، ص: 20-21 .

المبحث الثاني

أهم المناهج المتبعة في كتاب "التشابه و الاختلاف"

لقد أصبح النقد الحداثي الجديد لا يستأثر بمنهج واحد محدد ينتهجه خلال العملية النقدية وبات الكثير من نقادنا العرب يسعى إلى الجمع بين عدة مناهج في تحليل النص ودراسته ، وساعدت في ذلك النظريات اللسانية الحديثة ومناهجها المتعددة ، لقد أصبح لا ينظر إلى النص الأدبي إلا في ضوء خصوصيات لغته و أسرارها[1]، فالمناهج النقدية هذه هي في طموح للارتقاء بالأعمال الأدبية الإبداعية عن طريق محاورة أبعادها الإبداعية و الإنسانية ورموزها و إيماءاتها الكونية للوصول إلى كشف ما يريد النص أن يقوله ، غير أن جل المناهج النقدية استقدمت مفاهيمها وآلياتها من حقول معرفية علمية لا تنتمي إلى الأدب في شكله الإبداعي ، وهذا ما جعل الممارسة المنهجية تتسع وتختلف من حيث الطريقة التي تستنطق بها هذه الأعمال [2] ، من هنا أصبح النقاد الحداثيون والمعاصرون لا يتمرسون على منهج واحد بل يتبنون عدة مناهج في دراساتهم .

فالناقد "عبد المالك مرتاض" يقول في هذا السياق : "لا يوجد منهج كامل مثالي لا يأتيه الضعف ولا النقص من بين يديه ولا من خلفه ، و إذا فمن التعصب والتعصب سلوك غير علمي و لا أخلاقي أيضا التمسك بتقنيات منهج واحد على أساس أنه هو وحده ، ولا منهج آخر معه ، جدير أن يتّبع"[3]، ظاهرة الجمع والمزاوجة بين المناهج هذه لم تكن حديثة ، فقد ذكرت بعض المصادر أن "السيد قطب هو أول من استعمل هذه التعددية في النصف الأول من القرن 20 ، حيث سماه بـ"المنهج المتكامل" ودعا إلى اعتماده في كتابه (النقد الأدبي –أصوله ومناهجه) حيث أن أهميته النقدية تكمن في

[1] مرزاقة لطرشي ، نقد النقد عند عبد المالك مرتاض ،مذكرة ماستر، إشراف: بوقرومة حكيمة، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، ص: 31 .

[2] بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند محمد مفتاح، ص: 457 .

[3] د. مرتاض عبد المالك ، التحليل السيميائي للخطاب الشعري ، اتحاد كتاب العرب ،دط، دمشق 2005 ، ص: 09 .

كونه يتناول العمل الأدبي من جميع زواياه ، ويتناول صاحبه كذلك بجانب تناوله " البيئة والتاريخ" ، كما أنه لا يغفل القيم الخالصة ولا يغرقها في غمار البحوث التاريخية أو الدراسات النفسية "[1]، فالمنهج المتكامل إذن يجمع كل فروع النقد بمختلف حقوله.

لعل من أهم النقاد المعاصرين الذين اعتمدوا التعددية المنهجية نجد الناقد " **محمد مفتاح**" في المغرب ، حيث حاول هذا الأخير على مواكبة مستجدات المناهج النقدية وتطبيقها على نصوص عربية تراثية ومعاصرة ، مع تطوير هذه المناهج لتلائم خصوصية هذه النصوص ، كما عمل على إغناء المناهج لحل المشاكل والصعوبات المتعلقة بالمفردات وبنية النصوص السطحية والعميقة ، وهذا ما جعله دائم التساؤل فيما إذا كان هناك منهجية تلائم النصوص ضمن الثقافات التي تنتمي إليها [2]، فـ "**محمد مفتاح**" قد اقترح آلية نقدية ذات طابع تعددي ترمي إلى الإحاطة بالنص بعد تجميع كافة مستوياتها وكوكبتها على شكل منظومة دينامية تخدم المعنى العام للنص [3]، وفي هذا يقول "**محمد مفتاح**" : " أية مدرسة لم توفق إلى الآن في صياغة نظرة شاملة ، و إنما كل ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية التي إذا أضاءت جوانب بقيت أخرى مظلمة "[4].

وفي نفس هذا السياق يشاطره "**مرتاض**" بقوله : "من السذاجة الساذجة أن نعتقد بأنا قادرون على تأسيس منهج ما ، ثم نحمله إلى نص أدبي لنحلله بمقتضى إجراءاته بكفاح ونجاح ، ذلك بأن كل نص

[1] روابح منال ، تحليل الخطاب الأدبي وفق المنهج المتكامل بين التنظير والتطبيق ، الملتقى الوطني المعنون بـ : تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2018 ، ص: 01 .

[2] بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند محمد مفتاح ، ص: 455 .

[3] توام عبد الله ، اسهامات محمد مفتاح النقدية ، ص: 27 .

[4] مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري ، ص: 07 .

أدبي يمثل لنا تحت شكل طبق لا يشبه النص الآخر إلا توهما ، أو من بعيد إذ حين نتعمق القراءة ونطيل النظر فيه سيتبن لنا حتما أن هذا النص مختلف عن ذاك ، وذاك عن هذا "[1] ، هذا ما يبين لنا بحق أن كل من **مرتاض ومفتاح** قد طبقا ما يعرف بـ" **المنهج المتكامل**" الذي ميز أعمالهما النقدية .

إن من أن الأسئلة المنهجية التي تُطرح على كتب "**محمد مفتاح**" وخاصة كتابه (**التشابه و الاختلاف**) تتمثل في ماهية المناهج النقدية التي طبقها في كتابه ، وعند الإجابة عن هذا السؤال كان لابد من الاعتراف لـ "محمد مفتاح" أن كتابه هذا صلبا ، ويكشف ذلك عن تمثل "مفتاح" للنظريات اللغوية واللسانية والبنيوية وغيرها ، ولعل من أهم النظريات والمناهج التي تشبع منها وطبقها في مؤلفه " **التشابه و الاختلاف**" نجد :

- **المنهج التاريخي** : فما يميز التجربة النقدية عند "مفتاح" هو قراءتها للتراث العربي في ضوء المناهج الحديثة ، حيث ظهر ذلك جليا في استحضار الرؤية الهرمسية التي شكلت منطلقا لمنهجيته ، يقول : "تعتمد المنهاجية الشمولية على رؤيا للعالم أشمل والرؤية للعالم هذه تؤكد على أن الكون انتظام ، وهي قديمة وجديدة في آن واحد ، فهي قديمة من حيث أن جذورها تعود إلى التصورات الهندية والفيثاغورية و الأفلاطونية وبعض التيارات الصوفية والفلسفية والفكرية الإسلامية "[2]، والمتتبع لكتاب "التشابه و الاختلاف" يلحظ بوضوح وجود ما هو تاريخي في درسه النقدي هذا ، فهو لا يهمل التراث والتاريخ ،

[1] مرتاض عبد المالك ، شعرية القصيدة ، دار المنتخب العربي، بيروت ، ط01، 1994 ، ص: 85 .
[2] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 09 .

و إنما يدعو إلى إعادة قراءة التراث و الابتعاد عن القراءة التقليدية ، وكذلك القراءة المعاصرة التي ترسخ التبعية ، و إنما ذلك يكون بالوسطية التفاعلية [1].

كذلك قد تحدث مفتاح في كتابه عن إشكالية مهمة وهي "التحقيب" تأسيس يستثمر في مستوى مفاهيمه و آلياته حقولا معرفية مختلفة : التاريخ ، علم الاجتماع ، فلسفة التاريخ ، علم النفس المعرفي ، نظرية التحليل البنيوي ، وعناصر منهجية أخرى تتناص مع غيرها بالتشابه أو الاختلاف ، كل ذلك في تركيبة معقدة وملتبسة أحيانا يواجه بها الباحث إشكال التحقيب : تحقيب الثقافة المغربية منذ نشأتها أو بالأحرى منذ اللحظة التاريخية التي اختارها لتكون تاريخ النشأة إلى عصرها الحديث.[2]

- **المنهج السيميائي** : فعلى غرار المنهج التاريخي يتضح لنا أن مفتاح في كتابه قد استند كثيرا من إجراءات المنهج السيميائي ، وهذا من خلال توظيفه لبعض المفاهيم والمصطلحات من بينها : **الأيقون** فعرفه بقوله : " ليس الأيقون وليد السيميائيات البيرسية ولكن هذه السيميائيات نفسها استندت على التراث لجعل مفهوم الأيقون من ثلاثية الموضوع ، فقد جزأ الموضوع إلى الأيقون و إلى المؤشر و إلى الرمز ..."[3]، إن هذا المنهج هو مادة قصبة الدراسات النقدية عند مفتاح ، ومحضيته لما تلقاه من اهتمام و تمحيص لم يك لغيرها ، وهذا مرده إلى الطريقة التي يتكلفها ويتمذهب بها منهجا تحليليا و تأويليا ، كما ولا يخفي مفتاح إعجابه الشديد بـ"غريماس" وتمثل تجربته السيميائية حاضرة في وجدانه وفكره ، فقد وصفه بأنه أهم ممثل لهذا التيار وأن نتاجه يشكل مدرسة في التحليل ، على الرغم مما تشوب بعض

[1] الصديان هيثم علي ، المنهجية الشمولية ، ص: 131 .
[2] محفوظ عبد اللطيف ، بن دحمان جمال ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح ، ص: 91 .
[3] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 190 .

أطروحاته من إشكالات ولا سيما مربعه السيميائي[1]، فمفتاح إذن قد طبق هذا المنهج في كتابه محاولا الإخلاص لهذا المنهج ، وهذا جلي في كل كتاباته تقريبا .

- **المنهج البنيوي** : فبالإضافة إلى المناهج السابقة نجد الكثير من المفاهيم و الإجراءات البنيوية في

كتاب " التشابه و الاختلاف" هذا المنهج لم يتعرض له مفتاح نقدا لمقولاتها ، إذ أن معظم قوانينها و أفكارها من المشتركات بين الحقول التي تشتمل على اللغة وعلومها ، إضافة إلى تسرب أغلبها إلى المناهج الأخرى ،قد كان "محمد مفتاح" يتجاهل اسمها فلا يذكره إلا مضطرا [2]، فالمتلقي هنا هو من يكشف ما وراء المقصود و أكيد أنه عند اهتمامه بنقد النقد عند مفتاح إلا ويصطدم مع مفاهيم من البنيوية كمفهوم : **النسق** ، **البنية** ، **التوتر** ، **التشاكل** .... **وغيرها** ، وهذا يبن لنا بوضوح استحضار مفتاح لخصوصيات ومنطلقات المنهج البنيوي .

كانت هذه من بين أهم المناهج المتبعة في التشابه و الاختلاف ، وقد انبثقت منها عند مفتاح ثنائية متناقضة ألا وهي " **ثنائية التشابه و الاختلاف** " ، فكيف كان منظورهما عند مفتاح ؟

[1] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها ، ص: 110-111 .

[2] المرجع نفسه ، ص: 113 .

المبحث الثالث

التشابه و الاختلاف المعرفيين من منظور "محمد مفتاح"

لقد خصص "محمد مفتاح "في كتابه (التشابه و الاختلاف) مجموعة من الفصول تندرج ضمن نطاق مفهومي : **التشابه و الاختلاف** ، تتجسد هذه الفصول على شكل مفاهيم تنظيرية إجرائية و لأن هذين المصطلحين هما بؤرة بحثنا هذا ،لا بوصفهما مجرد قضية مشكلة لغوية فحسب ، بل هو أوسع من ذلك بكثير ، سنحاول عرض مفاهيم هذه المنهاجية عند مفتاح ، "ولفرزها وعرضها يتعين الالتزام بأقصى قدر من الحذر والدقة ليس لكثرة تلك المفاهيم و الآليات ولكن لمنحى حضورها المكثف والتراكمي الذي يسبق عملية التحليل ، ويصاحبها ويعقبها أخيرا ، والذي يشكل بحق تحديا نظريا ومعرفيا أمام القارئ"[1].

كما لا يمكننا كدارسين لمؤلف من أهم مؤلفات مفتاح (التشابه و الاختلاف) الغوص في مجريات هذين المصطلحين دون أن نلج إلى إعطاء مفهوم معرفي دقيق لهما وهذا ما سنتطرق إليه .

أ/ التشابه المعرفي :

التشابه من التشبيه ، وهو في المعجم كما يلي : "مصدر شبه يشبه تشبيها ، يقال شبهت الشيء بالشيء أي مثلته به و قسته عليه ، إما بذاته أو بصفاته أو بأفعاله " ، كما وقد قال ابن تيمية رحمه الله : " ولكن لفظ الشبه فيه إجمال و إبهام ، فما من شيء إلا وهما متفقان في أمر من الأمور ، ولو أنه في كونهما موجودين "[2]، أي أن معناه هو التناسب والتساوي بين شيئين .

[1] عبد اللطيف محفوظ ، جمال بن دحمان ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح، ص: 102 .

[2] آل عبد اللطيف سعد بن محمد بن علي ، التعريفات الاعتقادية ، دار الوطن ، ط 01،السعودية، ص: 98-99 .

أما التشابه عند " محمد مفتاح" فقد استهله في كتابه عير مقولة لـ " **أبي حيان التوحيدي**" (**المقابسات**) يقول فيها : " اعرف حقائق الأمور **بالتشابه** فإن الحق واحد ولا تستفزنك الأسماء و إن اختلفت " ، كما وقد أضاف مفتاح مقولة ثانية لـ " **غريغوري باتسون**" :

"التشابه يسبق الاختلاف "

"التشابه أقدم من الاختلاف"[1]

إن هذا الاستهلال قوامه أسبقية التشابه على الاختلاف ، هذا التشابه الذي تأخذ به المنهاجية وتتبناه ينطلق من تشييدات ما ورائية غيبية ، ومعرفية ثقافية ، ويبدأ من مبدعي العالمين ، الإنسان مبدع العالم النصي ، والرحمن مبدع العالم الخارجي ، وهو تشابه غيبي يستند إلى انتظام الكون و انسجامه وصدوره الفيضي المتصل ، وهذا التشييد الماورائي يجعل "**كل شيء يشبه كل شيء**" و إن كان بدرجات مختلفة[2].

ب/ الاختلاف المعرفي :

للاختلاف عدة مفاهيم وتصورات تختلف من ناقد لناقد لكل رؤيته الخاصة ، إلا أنها تلتقي في مجموعة من النقاط الهامة التي سنوردها في هذه التعاريف :

[1] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 04 .

[2] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها ، ص: 77 ..

* الاختلاف تنازع مبني على أدلة ، وضمن هذا التصور نقول : خالفه إلى الشيء عصاه أو قصده بعدما نهاه عن ذلك .

* الاختلاف يولد الحوار في الوقت الذي يسعى فيه كل طرف إلى إقناع الآخر بوجهة نظره ، فهذا الأمر يؤخذ في الحسبان ، ويتدخل في تحديد نمط الحوار الذي سيدور بين المتحاورين [1].

* الاختلاف هو اختلاف الماهية وذلك أن الاختلاف المطلق هو اختلاف عن اختلاف "وما يختلف عن الاختلاف هو الهوية" كما يقول "**هيجل**" : فالهوية لا تنفك إذن عن المغايرة ولا يتعين المثل من دون المختلف ، بل كل مثل هو ذاته وغيره في آن [2].

إن الاختلاف هو منتج الاختلافات ومنتج عملية إنتاج الاختلافات ، أي عملية توليد الاختلافات ، فالاختلاف هو مصدر الاختلافات اللغوية التي توصل إليها "ديسوسير" ، وبهذا الربط يكون الاختلاف هو مبدأ السيميوطيقا و الإدراك اللغوي ، ولا يجب خلط الاختلافات البنيوية الأفقية مع الاختلافات المنتجة للمفاهيم ، فالأولى هي خصائص الإشارات و أنظمة الإشارة التي تهيء العناصر الأولية للدلالة ، وهذا النظام اللغوي يعتمد على إنتاج اختلافات منتظمة[3]، إنه إشكالية تطرح نفسها على كل ثقافة ، وهو واقع يخترق كل اجتماع بشري ، إذ لا مجتمع يخلو من تنوع وتعدد ، ولا أمة تعرى من انقسام وفرقة ، ولا اعتقاد يبرأ من شك ومخالفة .

[1] الباهي حسان ، الحوار ومنهاجية التفكير النقدي ، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،ط02 ، 2013 .ص: 11-12 .
[2] حرب علي ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط01 ، 1993 ، ص: 29.
[3] الرويلي ميجان ، سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،المغرب، ط3 ، 2002 ، ص: 118 .

إن من بين النقاد الذين اهتموا بمصطلح "**الاختلاف**" تطبيقا وممارسة نجد الناقد " **جاك ديريدا**" هذا الأخير الذي ولّد هذا المصطلح المركزي في فكره التفكيكي ، بعدما عمد إلى الفعل الفرنسي (différer) ليستثمر صيغته في القاموس الفرنسي :

-الصيغة اللازمة التي تدل على الشيء المغاير المختلف (dissemblable) .

- الصيغة المتعدية التي تدل على إرجاء أمر ما إلى وقت آخر (remettre à un autre temps) مشتقا مصدر الاختلاف من الصيغة الأولى ذات الدلالة المكانية أساسا ، أما الصيغة الثانية ذات الدلالة الزمانية فقد اشتق منها مصدرا جديدا لا عهد للغة الفرنسية به وهو الإرجاء أو التأجيل أو الاخلاف (différance) والمصطلح (différance) لم يثر إشكالا كبيرا إلى العربية لأن عامة المترجمين أجمعوا على الاختلاف مقابلا له ، ولم يحد عن هذا الإجماع إلا القليل منهم : فـ " **سعيد علوش**" استعمل (**المباينة**) كما فضل " **حامد أبو أحمد**" (**التخالف**) [1]، كما و يوجز " ديريدا" الاختلاف بقوله: " إن الاختلاف لا يعود ببساطة لا إلى التاريخ و لا إلى البنية "، فالاختلاف يوجد في اللغة ليكون أول الشروط لظهور المعنى [2].

إن الناقد "محمد مفتاح" لم يأت بمصطلحي " التشابه و الاختلاف " هباء و إنما يقصد من خلاله مداليل سنشير إليها في بحثنا ، ونتتبع حركة المفاهيم عند مفتاح وفرز تنوعها وردها إلى أجناسها ، إذ معظمها تنويعات مفاهيمية دالة على مداليل جنسية محددة .إن لمفتاح أسلوبه الذي يجمع بين أناه

[1] وغليسي يوسف ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ، الجزائر ، ط01 ، 2008 ، ص: 360-361 .

[2] إبراهيم عبد الله و آخرون ، معرفة الآخر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1996 ، ص: 117-118 .

وهويته في علاقة عكسية مطردة ، بما تعنيه الأنا من تمحور نفساني يدور في فلك التعالي ، وبما تعنيه الهوية من أسٍّ اجتماعي تتأسس على مجموعة متشابهات لتخلق اختلافا مائزا ، تبدأ فيه الأنا من المختلف وتنتهي بالمتشابه ، وتنطلق الهوية من المتشابه لتنتهي إلى الاختلاف[1]، مفاهيم " محمد مفتاح" هذه تتجسد جليا في كتابه " **التشابه** و **الاختلاف**، وفق فصول مقسمة لمدلولات كل فصل منها ومفهومه الخاص .

وقبل الولوج إلى هذه الفصول تبنى مفتاح تمهيدا تناول فيه "**انتظامية الكون**" في قوله : " تعتمد المنهاجية الشمولية على رؤيا للعالم أشمل ، والرؤيا للعالم تؤكد على أن الكون انتظام ، وهي قديمة جديدة في آن واحد ، فهي قديمة من حيث أن جذورها تعود إلى التصورات الهندية والفيثاغورية والأفلاطونية"[2]، وبعض التيارات الصوفية والفلسفية والفكرية الإسلامية ، إن هذه الرؤية التي اعتمدها الباحث شمولية قياسا إلى الرؤية الأرسطية ذات الطبيعة الجزئية الذرية ، هذه هي الفكرة التي يعيد الباحث التأكيد عليها ، وهو يوضح أن تأريخه للثقافة المغربية إنما تم "ضمن الرؤيا المنهاجية الشمولية التي تنظر إلى كل ما هو موجود في الكون في تعقده وتركيبه لا في جزئيته وذريته"[3]، من خلال هذه النظرة الشمولية للكون حلل بعض المفاهيم وقسمها إلى شقين سنوجزهما كما يلي :

[1] محفوظ عبد اللطيف ، جمال بن دحمان ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح ، ص: 96 .

[2] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 09 .

[3] المرجع السابق ، ص: 94 .

01- طبيعة العلاقة :

يبسط من خلاله خواص العلائق ودرجاتها ، هذه العلاقة تتحكم فيها طبيعة الترتيب وهو أنواع ، فهناك **ترتيب خطي** ينبني عند مفتاح على أساس "الاختلاف" بحكم أن هذا النوع من الترتيب يكمن في عدة تصورات فلسفية وعلمية قديمة وحديثة ، هذا ما يجعلها تختلف بحسب اختلاف الثقافات ، والثاني هو **الترتيب الشجري** ، و أعطى مثالا عن الشجرة الفورفورية لأنها تتميز بالتشجر والتداخل وتزداد درجات هذا التشاجر والتداخل كلما أوغل الفاحص في التحليل ، ولعل أبرز من فطن لهذا التشجير[1] من المغاربة نجد "**أبو القاسم السجلماسي**" في كتابه "**المنزع البديع في أساليب البديع**" ، فقد أسس كتابه على عشرة أجناس أو مقولات كبرى ثم فرع كل جنس إلى نوعين أو أكثر ، وعند النظر في تفريعات الشجرة تجدها محكومة بالتدرج مما يؤدي إلى اختلافها[2]، هذين الترتيبين يجمع بينهما ترتيب ثالث ألا وهو: **التفاعل الدينامي** .

وتأسيسا على هذا سنعتبر أن أقل درجات التفاعل تبتدئ بالترتيب الخطي فالترتيب الشجري ، و أقصى درجاته هو التفاعل الدينامي ، يقول مفتاح هنا : "يتبين مما قدمناه أن هناك نوعين من العلائق: علائق بين مكونات المنطق نفسها تشترك في بعض العناصر وتختلف في أخرى ، وتزداد درجة الاختلاف كلما تفرعت "[3]، وهناك مظهر آخر هو التجاور ، وهو يقع في مقابل الترتيب الخطي من حيث أنه يقوم على قاعدة **الوحدات المستقلة** .

---

[1] ينظر : مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 12 .

[2] المرجع نفسه ، ص: 12 .

[3] المرجع نفسه ، ص: 16 .

02- طبيعة الاشتراك :

إذا تبنت العلاقة بين مكونات "الشيء" أو "المنطلق" من خلال أحد أنواع الترتيب المذكورة سابقا ، فإن تلك العلاقة المشتركة هي ما بحثه "محمد مفتاح" ضمن مفاهيم ، تجلى في طبيعة الاشتراك ، لقد وضعت طبيعة الاشتراك بين مكونات أي من الموجودات الطبيعية و الاجتماعية –علميا- من خلال مجموعة المفاهيم المختلفة[1]، "فقد قدم بعض البيولوجيين مفهومين لما سمي احدهما **بالتناظر** وثانيهما **بالتناظر المتسلسل** ، فالتناظر يكون في التكوين أو في الوظيفة بين أعضاء كائنات حية وغير حية لنشرها عن أصل واحد ، والتناظر المتسلسل هو مثل التناظر بين الإنسان وسرطان البحر"[2].

03- النظام العميق ومبادئه:

أكد الباحث أهمية هذا المفهوم رغم ما اقترح في مجالات علمية معاصرة مثل الفيزياء من مفاهيم علمية جديدة تتعارض معه ومع الرؤية الشمولية التي يستند إليها ، ومن تلك المفاهيم : التشعب ، الانشطار ، التعقيد ، العماء ، اللانظام ، الفوضى ، وذلك أن "الانشطار والتشعب ينطلقان من نواة واحدة ، ما يفرض وجود علاقة بين الأم والأبناء .. وما يظهر من عدم النظام والفوضى وراءه نظام عميق " هذا النظام العميق الذي يحكم كل مظاهر الوجود رغم اختلاف الظاهرة هذه ، اقترح مفتاح لتوضيح آلياته جوامع ثلاثة [3]:

---

[1] قراش محمد ، إشكالية التحقيب والنزعة الاقليمية في أعمال محمد مفتاح ، رسالة ماجستير ،، إشراف : د.لخضر جمعي، تخصص قضايا الأدب والدراسات النقدية ، جامعة الجزائر ، 2005 ، ص: 41 .

[2] المرجع السابق ، ص: 16 .

[3] قراش محمد ، إشكالية التحقيب والنزعة الاقليمية في أعمال محمد مفتاح ، ص: 42 .

أولها: **الجامع الأنطولوجي** : ويتعلق بوحدة المنبع الذي تفيض عنه الموجودات أو تنتمي إليه ، سواء كانت هذه الموجودات كائنات طبيعية حية ، أو كانت علوما و أنظمة معرفية تصدر عن منطلق و أساس واحد .

ثانيهما : ويتعلق بوجود **وحدة في الموضوع** ، أو في الوظيفة أو في الآليات التعبيرية ، أما ثالثهما : **الجامع الشبهي** الذي يتصل بالتشابهات المعطاة أو المشيدة التي تضع[1] ترابطا بين الموجودات ، ويليها: **الانتظام** الذي هو في الواقع حصيلة الجوامع الثلاثة السابقة التي تنتهي إلى" وحدة الكون والتعالق بين عوالمه وكائناته ، ومن ثمة فهو منتظم انتظاما ..."[2]، و أخيرا **الاتصال و الانفصال** ، وهي عنصر ينبني على الاختلاف ، باعتبار أن المفاهيم السابقة تدل على النظام والتشابه ، فالتشابه و الاختلاف يقوم على مسألة القطيعة ، لأن نظرية القطيعة لم تكن إلا صدى للمناقشات العلمية الخالصة الرائجة حول الاتصال و الانفصال[3].

من أمثلة ذلك نجد علم الرياضيات وعلم البيولوجيا ، الفيزياء ، وتلك الأطروحات الثقافية الفلسفية التي وظفت مفهوم القطيعة ، إلا أن توظيفهم اختلف بعض الاختلاف تبعا لاختلاف المجال المبحوث فيه ، كذلك من الأمثلة التي طرحها مفتاح نجد من"القطيعة إلى الإبدال"، وهي تنبني تحت لواء الاختلاف لكونها لا يمكن قياس نظرية على نظرية ، فهذا يؤدي إلى نسبية متطرفة ، إن الباحث هنا وبصيغة "**الممكن**" التي يقرأ بها مفهوم الإبدال –عدم القياس حيث يمكن أن يتفاعل الإبدال مع بعض العناصر

[1] قراش محمد ، إشكالية التحقيب والنزعة الاقليمية في أعمال محمد مفتاح ص: 42 .
[2] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف،ص: 20 .
[3] المرجع نفسه ، ص: 20.

، كما يمكن أن يكون هناك قياس وترجمة وعلاقات بين ضروب الإبدال ، يمكن استيعابها ضمن حدود مفهوم الاتصال ، كما تحدده المنهاجية الشمولية [1].

إن هذه المفاهيم وظفها مفتاح في التحليل الثقافي ضمن نسقية الثقافية ، و أكد على مشروعية توظيفها مستأنسا برأي أحد الباحثين البيولوجيين ، وهو يرى أن الباحث الثقافي يستطيع أن يفتش عن البنيات المتناظرة والمتشابهة كما يبحث عالم الحيوان عن التناظرات ، هذه المبادئ الموظفة : التشابه ، الاختلاف ، الاستقرار ، الدينامية ، المورثات ، المحيط ، ليست في واقع الأمر إلا تشكيلة أولى من جملة المفاهيم العديدة التي تنتمي إلى مجال المنهاجية الشمولية ، المنهاجية التي يظهر أن أفقها يتسع لكل المفاهيم والمبادئ [2]، هذه المبادئ سماها مفتاح بـ " **مبادئ التنسيق الأربعة** ، وهي كالتالي :

- **مبدأ التشابه** : وفقا لقاعدة " **أن كل شيء يشبه كل شيء** " ، وهو المبدأ الذي اشتغل عليه الباحث في صياغة أطروحة الوحدة في الثقافة المغربية ، و إعادة تصنيف علومها التي رأى أنها تتشابه وتتماثل من حيث وظيفتها في التعبير عن غاية واحدة وجهت ثقافة المغرب عبر تاريخها الطويل ، وهي غاية الاتحاد للجهاد ، ولذلك اعتبر انه " يمكن تبني ترتيب للعلوم مخالف لما اقترحه **ابن خلدون** باعتبار درجة التعبير عن الافتراض ، وحينئذ قد يكون ترتيبها على الشكل التالي :شعر الجهاد ، علوم القرآن ، علوم الحديث ، علم الفقه ، أصول الفقه ، التصوف والتاريخ ، وعلم الكلام وعلوم الآلة فالعلوم العقلية"[3]، ثم يليها "**مبدأ التدريج**" الذي ينطوي تحت مقولة "**كل شيء قابل للتدريج**" ، وقد طبقه

[1] محفوظ عبد اللطيف ، جمال بن دحمان ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح ، ص: 110 .
[2] المرجع نفسه ، ص: 106 .
[3] محفوظ عبد اللطيف ، جمال بن دحمان ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح ، ص: 106-107 .

مفتاح على ظواهر أدبية **كالتناص** ، وضع من خلالها عدة مفاهيم تدل على التشابه و الاختلاف ، متمثلة في مفهومين **التعضيد** وله درجات : (**المطابقة** ، **المناظرة** ، **المحاذاة** ، **المماثلة** ، **المضاهاة** ، **المضارعة** ، **المشاكلة** ، **المشابهة**) ، و**مفهوم المناقضة** وله درجاته: (**الاختلاف** ، **التمايز** ، **التغاير** ، **التضاد** ، **التقابل** ، **التناقض** ، **المزايلة**) .

- **مبدأ الانسجام** : "فكل شيء ينسجم مع كل شيء" ، كما تقتضي المنهاجية الشمولية ، ذلك أن ما يهم الباحث هو الرؤية القائلة : "بالتعقيد و الانسجام والتناغم، وهي الرؤية التي يشير بها الكثير من الفيزيائيين والبيولوجيين المعاصرين ومؤداها أن الكل منطوي في أجزائه ، والأجزاء منتشرة في الكل.." ، وبهذا المعنى يتكامل مبدأ الانسجام مع مبدئي التشابه والتدرج في إقامة المنظور المنهجي والفكري الذي يسمح باستيعاب الاختلاف والتنوع والتعارض داخل الثقافة المغربية ضمن وحدة يقصد الباحث إلى تشييدها"[1]، وهناك مبدأ رابع ألا وهو :

- **مبدأ الاتصال** : فالتشابه والتدريج و الانسجام تقتضي أن يكون "كل شيء متصلا بكل شيء" ، فمنهاجية الباحث ترفض الانفصال والقطيعة ، وتستند نظرية الاتصال هي الأخرى " إلى الفلسفيات الأفلاطونية التي تنظر إلى الكون باعتباره متناغما يحركه التجاذب والتنافر " ، في حين تتكئ نظرية القطيعة على المقولات الفلسفية الأرسطية الذرية التي تنظر إلى الكائنات في انفصالها[2].

إن المنهاجية الشمولية تُؤَوِّل ممارستها النقدية باستمرار ، وهي دائما تعمل على بلورة هذه الآلية بما تصنعه من تنظير تمهيدي ، واستتباع استشرافي ختامي ، وتختص بكثرة مفاهيمها وتنوعها ، التي

[1] قراش محمد ، إشكالية التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح ، ص:44 .

[2] محفوظ عبد اللطيف ، بن دحمان جمال ، محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح ، ص: 108 .

تسعى بوساطتها إلى تغطية كامل ساحة النص وسبر متاهاته ، طموحا إلى الانتهاء إلى تصور شمولي يمكنها من تمثل النص ، ويُعَضِّد رؤيتها للعالم وينسجم معها[1] ، من هنا كان لزاما علينا كباحثين تتبع مفاهيم هذه الشمولية وردها إلى أجناسها ، ومن هنا كذلك تم الدخول إلى عالم المفهوم النقدي للمنهاجية الشمولية ، حيث الأمر يزداد تعقيدا لا تقعيدا ، فهناك مفاهيم : التدريج ، الانتظام ، التوازي ، التماسك ، التفاعل ، التحقيب ، التشابه .

في التدريج تطرق إلى الإشكالات التي تخص الخطاب ، كإشكال التمييز بين الخطاب والنص ، فحدد معنى النص والخطاب على أن " النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة " [2] ، ويعطي تحديدا دقيقا للخطاب على الرغم من إقراره الداخل بينه وبين النص، إذ يعرف الخطاب بأنه "وحدات لغوية متسقة ومنسجمة" ، معتبرا أن النص يشكل جزئية غير قليلة من الخطاب ، إذ أن الفارق بينهما هو الانسجام ، وأنه جزء لا يتجزأ من الخطاب [3] ، حيث يقول مفتاح :" أهم ضابط للنص هو الانسجام وهو يضم عدة عناصر ، وفي هذا المفهوم خلاف ، ويمكن أن نتكلم عن مفهوم **الاتساق** ومفهوم **التنضيد** ، فمفهوم التنضيد هو المرحلة الأولى ، أي العلاقة بين الجمل ، واو العطف ، فاء السببية ... ونقصد بمفهوم **الاتساق** : العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم ومفهوم الانسجام هو أعم من انسجام النص مع العالم الواقعي ، إذ أن كل نص هو متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة"[4].

---

[1] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها ، ص:81 .

[2] مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط03 ، بيروت ، ص: 120 .

[3] بن نوي سميحة ، آليات تحليل الخطاب الشعري من منظور سيميائي غند محمد مفتاح، مذكرة ماستر أدب حديث ، إشراف : خالد وهاب ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015 ، ص: 20 .

[4] بخولة بن الدين ، الإسهامات النصية في التراث العربي ، إشراف : د. محمد مليابي ،رسالة دكتوراه علوم في اللسانيات النصية ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2015 ، ص: 20 .

غير أن هذا الإشكال لم يتناوله مفتاح فقط بل قد اعتبر الكثير من الدارسين أن الخطاب مرادف للنص ، ولكن هذا الطرح لم يحل المشكل لأن الترادف لا يكون إلا جزئيا ، وهو ما يطرح البحث عن قضايا " التشابه و الاختلاف" بين مفهومي النص والخطاب ، انطلاقا من المقاربات والنظريات المعتمدة في التحليل[1]، وهناك من يرى بأن الخطاب هو مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد يكون عالمه (**فضاؤه**) أوسع من عالم النص ، فإذا كان علم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص ، فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ، فضلا عن كون جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في كلام المتكلم [2]، وبعد هذا التفريق التي تناوله مفتاح للنص والخطاب اتجه إلى استراتيجيات لتفكيك هذا الخطاب منها " **الإستراتيجية الفرنسية**" المتمثلة في "**المنهاجية الكريماسية**" ، واستنتج منها بعض الخصائص والمفاهيم الخطابية وهي : السردية ، الدينامية ، الانغلاقية ، انسجام الخطاب .

كما ورصد مفتاح بعض النماذج النظرية والتجريبية ضمن الإستراتيجيتين (الانجليزية و الألمانية) ، وكان لمفتاح بعدها أن يقف وقفة عند **نموذج التماسك** ، يقول عن هذا المفهوم :" من بين المفاهيم التي تستلم المشعل هي مفهوم التماسك ، وسنجعل من هذا المفهوم مقولة عامة سننوعها إلى التنضيد و الاتساق و الانسجام والتشاكل والترادف لتشمل المستويات المختلفة للخطاب من معجم وتركيب ومعنى ودلالة"[3].

[1] الميساوي خليفة ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، دار الأمان ، الرباط ، ط01 ، 2013 ، ص: 180 .
[2] الحربي فرحان بدري ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، مجد المؤسسة الجامعية ، ط01 ، 2003 ، بيروت ، ص: 42-43 .
[3] مفتاح محمد ، التلقي و التأويل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط01 ، 1994 ، ص: 157 .

وقد تكلم عن مظاهر التماسك والتي تتمثل في خمسة أنواع كبرى وهي : **الإحالة و الإبدال** ، **الإيجاز والعطف والتماسك المعجمي** ، هذا النموذج وسعه " دجين سون شا" ، و أسمى نموذجه بـ "النموذج التماسكي النسقي الموسع ، و افترض أربع مستويات للتماسك : **المستوى المعجمي والنحوي والدلالي والسيميائي** .[1] بعد هذا اقترح مفتاح إستراتيجيتين المتمثلتين في : دفع الأغلوطة الأنثرولوجية والأغلوطة التشييدية المتطرفة ، فانطلق من إبراز بعض خصائص الخطاب ، وعليه أقر وجود علاقة التي قد تكون بين خطابين ، أو أنواع من الخطاب ، مما يفرض أن يكون هناك خطاب أصلي و أنواع من الخطابات الفرعية ، كذلك من بين المفاهيم الأخرى لاستراتيجيات "محمد مفتاح" المقترحة نجد مفهوم التنسيق والإضمار والدينامية ، هذه الأخيرة التي تعني أو تشير إلى وجود تغيير في بنية الأثر الأدبي ،يرتبط بفكر ووعي مبدعة ووعي الجماعة التي يرتبط بها [2]، بالإضافة إلى مفهوم الدينامية نجد تعدد القيم أي تعدد قيم الخطاب الأدبي ،وكذلك الوظيفة حيث أن الأدب في مساره أسندت إليه الكثير من الوظائف ، وقد كانت وظيفته عند العرب خدمة القبيلة أو خدمة العقيدة.[3]

بالإضافة إلى مفهوم **التدريج** نجد مفهوم **الانتظام** ، والتي ناقش مفتاح فيه تلك الأطروحات المتداولة بين الباحثين والتي تتعلق المنتخبات والأطروحات الجامعية والكتب التي تتعدد مواضيعها ، وقد صنفها مفتاح غلى ثلاثة مجموعات أساسية وهي كالتالي :

[1] ينظر : مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 41 .

[2] حجازي سمير سعيد ، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، دار الأفق العربية ، القاهرة ، ط01، 2001 ، ص: 125 .

[3] المرجع السابق ، ص: 53 .

01- **التشتت والاضطراب المطلقان** : وقد سلك فيه كل من "أحمد أمين" و " إبراهيم الكيلاني" والذي نظر إلى كتاب "البصائر " لـ " أبي حيان التوحيدي " والتي وُسمت بالتشتت بسبب موسوعية المؤلف وبسبب أن مثقفي المقابسات يكتبون كتابة لانسقية.

02- **التشتت و الاضطراب النسبيان** : في هذه الأطروحة يبين مفتاح أن من يمثل هذا الاتجاه "**د.وداد القاضي**" التي رأت أن كتاب " البصائر" يفتقر إلى أي نوع من الترتيب والتصنيف ، أما ثالث أطروحة وهي تقف على الضفة النقيضة للأطروحتين الساقيتين ، ذلك أنها تثبت البنية والوظيفة ، فتكون هناك بينة عندما يكون ثمة اختيار في الترتيب أو التنظيم لوحدات ، لكن ما هو معيار هذا الاختيار ؟ إنها الوظيفة [1] .

كانت هذه هي أهم أطروحات "محمد مفتاح " حول الانتظام ، الذي يقتضي هيمنة وتراتب واختلاف، وتحكم ذاتي وكلية غائبة[2].

أشار "محمد مفتاح" إلى مفهوم آخر من مفاهيم المنهاجية الشمولية الذي بنى عليه أساس التشابه و الاختلاف ألا وهو : **التوازي** ، الذي صرح به في كتاب "**التلقي والتأويل**" في قوله : " لعل الشعر العربي هو شعر التوازي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، فهو مؤسس على بعضه وهو منظم بأنواع أخرى منه ، ولذلك يهتم بدراسته البلاغيون والنقاد القدماء والمحدثون [3] ، وها هو قد طرحه من جديد في مؤلفه "التشابه و الاختلاف" ، حيث خصص حيزا إجرائيا ممثلا في نص شعري **للشابي** ، ينطوي

[1] مرتاض عبد الجليل ، البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي ، دار هومة ، الجزائر ، دط، دت، ص: 14-15 .

[2] بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند مفتاح ، مجلة علوم اللغة العربية ، مج 14 ، ع01 ، 2022 ، جامعة باتنة، ص:462.

[3] مفتاح محمد ، التلقي و التأويل ، ص: 149 .

مفهوم التوازي هنا تحت لواء مفهوم التشابه ، حيث تبين مفتاح أن التعريفات التي نقدمها للتوازي ترتكز على خاصية التشابه بين المتوازيين في الشكل والتسلسل في الزمن والترادف في المعنى أو التضاد فيه أو الجمع بين الترادف والتضاد.

الدراسات التي وظفت مفهوم التوازي ترجعه إلى القرن الثامن عشر وتربطه بدراسة تناولت الكتب المقدسة ، غير أن مفتاح يرجع المفهوم بصيغة عامة إلى أبعد من ذلك ، "فقد احتل التوازي والتعادل في البلاغة العربية موضعا هاما في كتبها"[1]، من هنا كانت البنيات المتوازية هي البنيات المتشابهة ، فلا شك أن مبدأ التشابه مركز سياقي في مختلف الدراسات التي تحدثت عن التوازي[2]، فطبيعة التوازي إذن تقترن بالتمظهرات الخارجية أو ما يشبهها[3]، هذا ما جعل الناقد محمد مفتاح يستغل الفرصة لذكر نموذج ومثال في التوازي ، ألا وهو "**الشابي**"الذي قال فيه : " إن شعر **الشابي** هو شعر التوازي بامتياز ... وما على القارئ إلا أن يفتح أية صفحة من ديوانه حتى يواجهه التوازي الذي يقدم نفسه بنفسه" ، إلى جانب مقولة التوازي اقترح مفتاح مقولة " التماسك" ، وفرعنا إلى مفاهيم خاصة وهي : "**التنضيد** "، ويقصد به بعض أدوات العلائق النحوية (و أدوات الاستثناء ، حروف التعليل) ومضمون الاتساق وهو يشمل كثيرا من المنسقات اللغوية (**أنواع الإحالة ، أنواع الضمائر ، أنواع أسماء الإشارة**) [4]، كذلك مفهوم التشاكل الذي تبنته اللسانيات لإثبات انسجام الرسالة ، وعند تطبيقه على الخطاب الشعري **للشابي** فإنه اكتشف : **تشاكل**: (**الإنسان/الكون**)/(**الإنسان الطبيعة**)/(**الإنسان/الأرض**)، واستثناء على

[1] مفتاح محمد ، التشابه و الاختلاف ، ص: 98 .
[2] محفوظ عبد اللطيف ، جمال بن دحمان ، المشروع النقدي المفتوح : ص: 70 .
[3] المرجع نفسه : ص: 72 .
[4] مفتاح محمد ، التلقي و التأويل ، ص: 158 .

هذا المفهوم اقترح "مفهوم الترادف"، وثالث أطروحة قدمها مفتاح تتمثل في مقولة " **التفاعل**" ، وهي في المنهاجية الشمولية ترابط ثقافي وربط منهاجي بين مكونات النص وتعالقاتها مع العالم الخارجي من طريق قانون التأثر و التأثير[1] ، وقد فرعها مفتاح إلى فرعين : **تفاعلا مذهبيا وتفاعلا ذاتيا** .

ليواصل محمد مفتاح رحلته المفاهيمية التنظيرية في مفهوم التحقيب ، حيث يقع تركيز الباحث بصورة ملحّة ومتواصلة على تحقيب الثقافة المغربية و إعادة قراءة تراثها ، فهو شق فرعي مبني على مفهوم الاتصال وليس الانفصال،وقد وضع مفتاح تصوره لتحقيب جديد قائم على الاتحاد للجهاد كروح ثابتة[2]، وقد حدد من خلال هذا التحقيب مكونات للمنهاجية هي :

أ- اعتبار الأدب نسقا فرعيا من نسق مجتمعي عام واعتماد المقايسة لإثبات العلاقة بين الأنساق .

ب-تبني منهاجية نسبية معتدلة [3]، كما تبنى المنهجية النسقية و استخلص منها مفاهيم ثانوية متمثلة في:

1/النسق الذي ليس هناك تحديد متفق على تعريفه وتحديد مفهوم دقيق له بحسب مفتاح ، إلا انه

" يمكن أن نستخلص نواة مشتركة من تلك التحديدات ، والنواة هي أن النسق مكون من مجموعة العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر و آخر"[4].

2/المقايسة : وتعني وجود علاقات جامعة بين الأنساق ، حدد مفتاح هذه العلاقات في ثلاث جوامع:

[1] الصديان هيثم علي ، المنهاجية الشمولية وتحيزاتها ، ص:84 .

[2] مولاي كاملة ، مساءلة التاريخ ، الثقافي المغربي معرفيا ثقافيا ، مجلة المدونة ، مج05 ، ع01، 2018 ، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية ، البليدة ، ص: 57 .

[3] مفتاح محمد ، التشابه والاختلاف ، ص: 158 .

[4] مفتاح محمد ، التشابه والاختلاف ، ص: 159 .

-الجامع الأنطولوجي : يتعلق باشتراك الأنساق المختلفة في مصادر وجوده ، إذ تكون العلاقة بين الأنساق "مماثلة" إذا كانت السمات المشتركة قليلة وتكون العلاقة "تتابعا عائليا" ، إذا كانت السمة مشتركة واحدة بين الأنساق.

-الجامع الوظيفي : ينطلق الباحث في ما دعاه "بالمقايسة" من مسلّمة أن الوظيفة تحدد الشكل مستأنسا بالنقد الذي وجهه "**آيزر**" إلى النظرية البنيوية ، حيث رأى أن عجز النظرية البنيوية –الوظيفية تكمن في مسلمتها الأساسية ، أي أن مفهوم البنية سبق مفهوم الوظيفة.[1]

-**العامل الجامع** : يقصد بهذا الجامع القوة المادية المعنوية المنشأة للبنية والوظائف و للأنساق المجتمعية والسياسية والثقافية.[2]

وفي نفس السياق اقترح "المنهاجية النسبية الإيقاعية" وفيها تصدى للتحقيب ودورها في إنشاء مؤسسة ثقافية عربية ، وقسم هذه المنهاجية إلى : تحقيب متداول ، تحقيب مقترح ، **فالتحقيب المتداول** فيه مجموعة من الأحداث : تعاليم الإسلام بما فيها من حرص على توحيد الأمة ، فتح العرب والمسلمين للأندلس سنة 92 هـ تحت قيادة "طارق بن زياد" ، دخول "عبد الرحمن الأموي" إلى الأندلس وتأسيسه خلافة أموية ، أما **التحقيب المقترح** فمن أحداثه فتح العرب للأندلس وسقوطها [3].

[1] محفوظ عبد اللطيف ، بن دحمان جمال ، المشروع النقدي المفتوح : ص: 114-115 .

[2] المرجع السابق ، ص: 160 .

[3] مفتاح محمد ، التشابه والاختلاف ، ص: 163 .

لقد ركز مفتاح في بداية كتابه على أسبقية التشابه عن الاختلاف ، فخصص لتلك الأخيرة أهمية بارزة في منهاجية ، انطوى تحت لواء هذا المفهوم مداليل عديدة (مداليل سيميوطيقية) تمثلت في الأيقون ، فأعطى مفهوما للأيقون و أثبت علاقته بالمقدس ، وتحدث بعده عن درجات الأيقون .

ومن ثم فإن أي محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي لا بد من استعمال دقيق لأوسع المفاهيم التي يتأسس عليها الخطاب النقدي ، وهذا تجسد فعلا في منهاجية مفتاح القائمة على ثنائية متناقضة وهي التشابه و الاختلاف ، فالتشابه يقوم على أساس الاختلاف ، والاختلاف شرط وجودي للخلائق، وشرط تفاعلي من خلاله يصير لكل دوره الذي لا يسد مسدّه آخر ، هذا الاختلاف يخلق للنص أوليته الثنائية التي بها يضع توازنه و انسجامه.

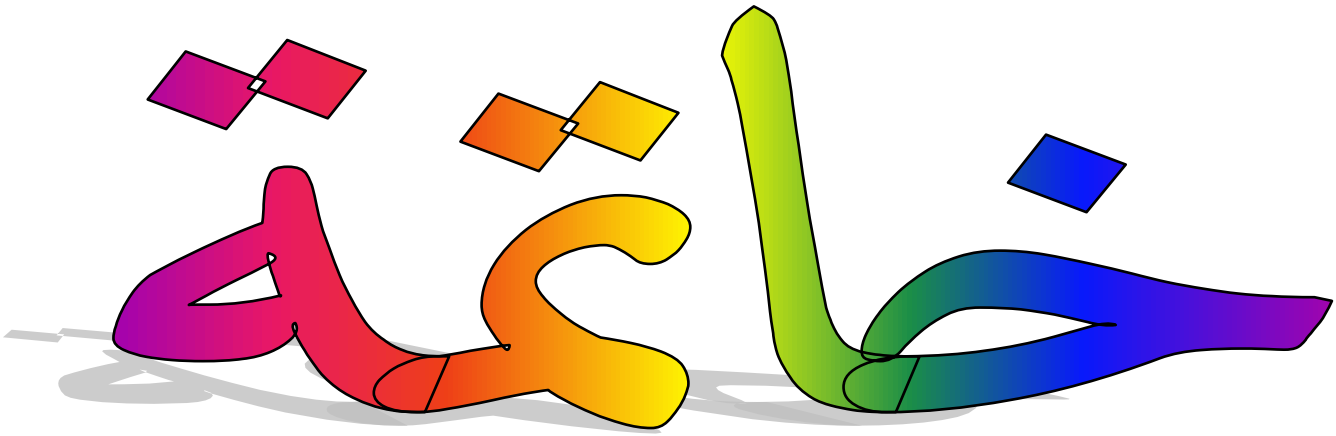
خاتمة

خاتمـــــة

في ختام هذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها :

-أن من عادة "محمد مفتاح" كلما أوشك على الانتهاء من أحد مؤلفاته إلا وكثرت الأسئلة و الاستفهامات ، ليتدخل من اجل توضيح المفاهيم التنظيرية ، وهذا ما أقره في كتابه " **التشابه** و **الاختلاف**" الذي تأسس على مبادئ منهاجية ميتافيزيقية .

-أن مفتاح يستخدم في إستراتيجيته النقدية منهجية متعددة الرؤوس ، متداخلة الاختصاصات ، يوظف فيها أكثر من أداة منهجية ، ويفيد من غير كشف معرفي أو اتجاه عقلاني ، كما يغلب الطابع الابستيمولوجي على نقده وتحليلاته .

-اعتماده في كتابه هذا على منهج نقدي بحت ، انطوى على مجموعة من المفاهيم في دراسة الظواهر منها : فلسفة انتظام الكون .

-مزاوجته وتوفيقه بين الدراسات النقدية العربية والدراسات الحديثة ، فمن هنا يمكننا الوقوف على ثلاث محطات تبين لنا منهج مفتاح التكاملي وهي : التوفيقية ، التلفيقية ، التكاملية ، باعتباره من النقاد الذين أحدثوا تجاوبا بين المناهج الغربية والعربية من أجل تحقيق صيغة توفيقية في النقد تتجاوز المصطلحات والمفاهيم المتباينة .

-أن المنهج عند مفتاح تأسس على خلفية ابستيمولوجية كونية .

ونختم بحثنا هذا بالقول المشهور : " إني رأيت أنه لا يكتب الإنسان كتابا في يوم إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زِيد هذا لكان يستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِك هذا لكان أجمل " ، وهذا دليل على استيلاء النقص على كل البشر ، إذا أصبنا فمن عند الله ، و إن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان .

وفقنا الله جميعا إلى مناهج السداد وهدانا إلى سبيل الرشاد ، إنه ولي التوفيق في كل حال وعمل .

ملخص

ملخص

تعالج هذا الدراسة المنهج النقدي عند " محمد مفتاح" في كتابه " التشابه و الاختلاف" ، هذا الناقد الذي لا يحتاج مشروعه إلى تعريف وتشخيص ، فهو من خلال إنجازاته وتراكماته المتوالية يعلن عن نفسه بنفسه ، قد حاول وفق هذا المشروع مواكبة مستجدات المناهج النقدية وتطبيقها في كتابه " التشابه و الاختلاف" ، وعلى تطوير هذه المناهج وفق رؤيته الخاصة .

بهذا يمكننا القول أن "محمد مفتاح" ألف كتابه هذا ليدقق المفاهيم التي طرحها في كتابه السابق " التلقي و التأويل" عن طريق توسع النظر فيها وفي أدواته الإجرائية للخروج بمنهج نقدي مركب يمكن من دراسة الخطاب النقدي الأدبي .

ملحق

ملحق

ولد "محمد مفتاح" في مدينة "الدار البيضاء" 1942 ، حصل على جائزة في الأدب العربي عام 1966 ، قبل أن يحصل على الدراسات العليا من كلية الأدب في فاس 1972 ، ثم دكتوراه دولة في الآداب عام 1981، قضى الراحل الأكاديمي معظم حياته في التعليم .

توفي مساء 09 مارس 2022 تاركا وراءه تراثا علميا هو حصيلة قراءات و اجتهادات في فكر الغرب الإسلامي وعلوم النقد والبلاغة و الأدب ، فكان بحق صاحب أحد المشاريع المؤثرة في سيرورة النقد المعاصر ، بحيث أعطى أولية لمفاهيم الدراسة الأدبية على مستوى تنظير التطبيق ، من آخر المبادرات التي ساهم بها الفقيد "محمد مفتاح" في المشهد الثقافي تبرعه بمكتبته التي كتبها طيلة خمسة عقود لمركب ثقافي محلي بمدينة ابن أحمد بالدار البيضاء.

د. محمد مفتاح

التشابه والاختلاف

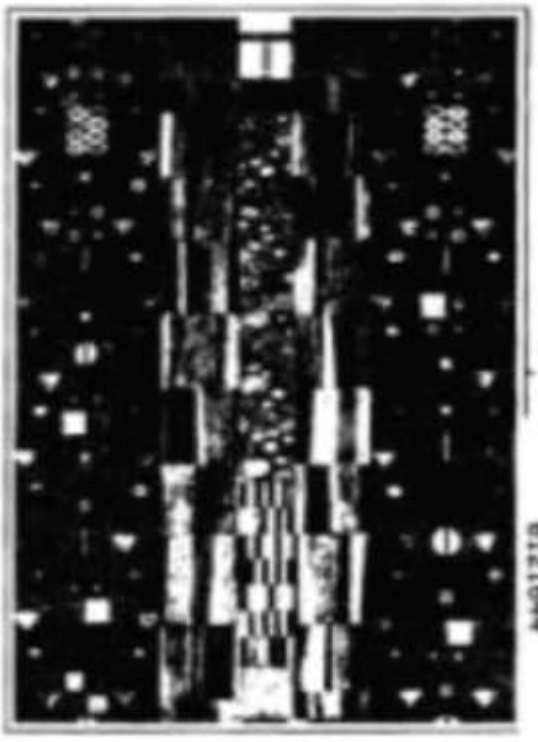

Bibliotheca Alexandrina
81221644

المركز الثقافي العربي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية حفص عن نافع) .

01/المصادر والمراجع :

01-إبراهيم عبد الله و آخرون ، معرفة الآخر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1996 .

02-إبراهيم فتحي. معجم المصطلحات الأدبية .المؤسسة العربية . تونس. ط:01 . 1986.

03- ابن منظور . لسان العرب ، دار صادر، بيروت ،مج14 .

04-آل عبد اللطيف سعد بن محمد بن علي ،التعريفات الاعتقادية،دار الوطن ،السعودية،ط1 ،2009.

05-باغورة الزواوي . المنهج البنيوي . دار الهدى للنشر . ط1 .2002 الجزائر .

06-الباهي حسان،الحوار ومنهاجية التفكير النقدي،دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،ط02، 2013

07-البحراوي السيد ،البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث ،دار شرقيات،القاهرة،ط01، 1993

08-البستاني بطرس . محيط المحيط . مكتبة لبنان. ساحة رياض الصلح . لبنان.بيروت. ط: 2007 .

09-بن زكريا أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، مج 05 ، دار الجيل ، بيروت .

10-بن نبي مالك. مشكلة الثقافة .تر: عبد الصبور شاهين.دار الفكر . دمشق .ط: 2000 .

11-تومي سعيدة . النقد الثقافي قضايا ورؤى. مختبر اللغة والتواصل .ط1 . 2020 . الجزائر .

12-ثامر فاضل ، اللغة الثانية ، المركز الثقافي العربي ، ط01 ، 1994 ، بيروت.

13-الجابري محمد عابد،التراث والحداثة،دراسات ومناقشات،المركز الثقافي العربي،ط1 ،سبتمبر،1991 بيروت.

14-الجابري محمد عابد.مدخل إلى فلسفة العلوم المعاصرة وتطور الفكر العلمي،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ،1976،بيروت.

15-الجرماني آراء عابد ، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية،منشورات الاختلاف ،دار الأمان،الرباط ، ط01 ، 2012 .

16- حامدي مبارك،التراث و إشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي، مركز دراسات الوحدة العربية.ط1 . بيروت .2017 .

17-حجازي سمير سعيد،قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر،دار الأفق العربية.ط01 ،2001 القاهرة .

18-حرب علي ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط01 ، 1993 .

19-الحربي فرحان بدري ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، مجد المؤسسة الجامعية ، ط01 ، 2003 ، بيروت .

20-حمداوي جميل،نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة ،دار الريف للطبع ةالنشر، ط:01 . 2016 . المغرب

21-الرويلي ميجان ، سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،المغرب، ط3 ، 2002

22-سعيد جلال الدين.معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية .دار الجنوب للنشر.تونس.2004.

23-عبابنة سامي،اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث،عالم الكتب الحديث،ط:1، 2004 . ط:2. 2010 .الأردن .

24-عتيق عبد العزيز ، في النقد الأدبي –بين الحداثة والتقليد،دار الكتاب الحديث، ط: 01 ، 1972 بيروت .

25-علي عبد الرحمن عبد الحميد ، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد،دار الكتاب الحديث،ط01 : 2005

26-علي محمد يونس . مدخل إلى اللسانيات . دار الكتب الجديدة المتحدة . ط:1 . 2004 . بيروت

27-عياشي منذر ، اللسانيات والحضارة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط01 ، 2013 ، اربد

28-العيد يمنى ، في معرفة النص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983 .

29- عيلان عمر، النقد العربي الجديد –مقاربة في نقد النقد- الدار العربية للعلوم،الجزائر، ط01: 2010

30-غلفان مصطفى.في اللسانيات العامة (تاريخها.طبيعتها.موضوعها.مفاهيمها).دار الكتاب الجديدة المتحدة.بيروت.ط1. 2010 .

31- الفراهدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين .تح : عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية . بيروت.

32-فضل صلاح ،مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة ط: 01 . 2002 .

33- الفيرزور ابادي، قاموس المحيط، دار الجديد، القاهرة، ط 2008، لبنان،ج4، ط1 ،2003

34-قطوس بسام ،دليل النظرية النقدية المعاصرة ،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع،الكويت، ط1 ، 2004

35-كاظم نادر . تمثيلات الآخر . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ط:1 . 2004 .

36-الكبيسي طراد ، مدخل في النقد الأدبي،دار اليازوري العلمية،ط :2009 ،الأردن .

37-محفوظ عبد اللطيف. بن دحمان جمال.محمد مفتاح المشروع النقدي المفتوح.منشورات الاختلاف.الدار العربية للعلوم .ط1 ، 2009 .بيروت.

38- مفتاح محمد ،التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط01 ، 1996 .

39-مرتاض عبد الجليل ،البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي،دار هومة ، الجزائر ،دط، دت.

40-مرتاض عبد المالك ، التحليل السيميائي للخطاب الشعري ، اتحاد كتاب العرب . دمشق 2005

41-مرتاض عبد المالك ، شعرية القصيدة ، دار المنتخب العربي، بيروت ، ط01، 1994 .

42-مرتاض عبد المالك ، في نظرية النقد—متابعة لأهم المدارس النقدية ورصد لنظرياتها،دار هومه،الجزائر، 2002 .

43-المرتجى أنور، سيميائية النص الأدبي، دار افريقيا للنشر، المغرب ،دط. 1987 .

44-المسدي عبد السلام. اللسانيات و أسسها المعرفية . الدار التونسية للنشر والتوزيع . المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،أوت . 1986

45-مصايف محمد ، دراسات في النقد والأدب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

46-مفتاح محمد ، التلقي و التأويل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط01 ، 1994 .

47-مفتاح محمد ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العبي، بيروت ، ط03 بيروت .

48-موافي عثمان. دراسات في النقد العربي . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية. 2004 .

49-مومني عيسى .بيبلوغرافيا اللسانيات.جامعة منتوري قسنطينة.دار العلوم للنشر والتوزيع.عنابة .

50-الميساوي خليفة ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، دار الأمان ، الرباط ، ط01 ، 2013 .

51-ناصر محمد . المقالة الصحفية الجزائرية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . دط . 1978

52-هاني إدريس ،كيف جرى مفهوم القطيعة على التراث.تاريخ النشر: 25 مارس 2010..

53-وغليسي يوسف ،إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ، الجزائر ، ط01، 2008

54-وغليسي يوسف. مناهج النقد الأدبي . دار جسور . ط01 : 2007 . الجزائر .

55-يوسف عبد الفتاح أحمد ،لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة،الدار العربية للعلوم،ط:01 ، 2010 ، لبنان .

03/المجلات والندوات :

1-العزاوي أبو بكر. النص من القراءة إلى التنظير لمحمد مفتاح. جريدة الشرق الأوسط .1421 .عدد 8123 . الرباط .

2-بلخير عمر.مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية ، مجلة إنسانيات ،ع 14-15 . 2001

3-بلقاسم محمد .نظرية محمد مفتاح في تحليل الخطاب الشعري وتطبيقها، مجلة الآداب واللغات . جامعة قاصدي مرباح . ورقلة.ع06 . 2007 .

4-بن علي خلف الله. التداولية مقدمة عامة . مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب.مج : 14 .ع: 01 . 2017 .

5-بن منصور عبلة ، المنهج بين الخصوصية والكونية عند محمد مفتاح ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، مج14 ، ع:01 ، 2002 .

6 -بوخاتم مولاي علي. منهجيات محمد مفتاح /السيميوطيقا وصيرورتها. مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية. ع01 /1426 ، 2005 .مكتبة الرشاد . الجزائر .

7-بوعروري اليزيد. مقياس المنطق التقليدي،مطبوعة مقدمة للتاهيل الجامعي. قسم الفلسفة/ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية.جامعة محمد لامين دباغين ، سطيف .2018 .

8-توام عبد الله. اسهامات محمد مفتاح النقدية في تحديث الفعل النقدي العربي. مجلة أدبيات . مجلد 01 ،ع 01 . 2019 .

9-دندوقة فوزية،أثر لسانيات دوسوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات،ندوة المخبر،جامعة محمد خيضر،بسكرة.

10-روابح منال ، تحليل الخطاب الأدبي وفق المنهج المتكامل بين التنظير والتطبيق ،الملتقى الوطني المعنون بـ " تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية "، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2018

11-زروقي عبد القادر،الدرس اللساني و أثره في النقد الأدبي .قسم اللغة العربية، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، مجلة القلم ،ع3 . 2006

12-زياني لبية.أحمد قيطون . الاجراء النقدي في كتابات "محمد مفتاح" بين النسقية والمقصدية .مج:07 ع 02 .2019 .

13-السالكي عبد الحق. نحو تحديد لمفهوم البنية في الأدب" بنية التوتر نموذجا".مجلة المثقف.ع5430 . 2002

14-شويرب هنية،لشعل أحمد. منهجية محمد عابد الجابري في قراءة التراث العربي الاسلامي،مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ،مج3 ، ع:2 ،الأغواط ، 2021.

15-غويرق حميد. ملامح المنهج الآني في التراث اللغوي العربي – مقاربة لسانية بنيوية- مجلة الأثر . مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية . ع33 . جوان 2020. ورقلة .

16-موشعال فاطمة . سيميائية عبد المالك مرتاض في مقاربة الخطاب الشعري الجزائري القديم . مجلة التحرير، مج : 02 . ع:02 . الجزائر.2020

17-مولاي كاملة ، مساءلة التاريخ ، القاضي المغزلي ثقافيا ومعرفيا ، مجلة المدونة ، مج05 ، ع01، 2018 ، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية ، ميلة .

قائمة المصادر والمراجع

04/الرسائل الجامعية :

1- بخولة بن الدين ، الإسهامات النصية في التراث العربي ، رسالة دكتوراه علوم في اللسانيات النصية ، إشراف : د. محمد مليابي ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2015 .

2- بن مجاهد عمر ، محددات النقد الأدبي القديم عند العرب ، رسالة ماجستير ،إشراف:خضرة العابدي، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2014 .

3- بن نوي سميحة ، آليات تحليل الخطاب الشعري من منظور سيميائي عند محمد مفتاح، مذكرة ماستر أدب حديث ، إشراف : خالد وهاب، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015 .

4-بوشمة معاشو،الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي،رسالة دكتوراه،إشراف : الأخضر بركة ، الجيلالي اليابس،سيدي بلعباس،2018

5- حامدي صدام ، أسس بناء المنهج النقدي عند أنور الجندي ،مذكرة ماستر ،إشراف:حسين دحو، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2015 .

6-حسنة سامية، البنيوية التكوينية في كتاب الرواية المغربية –الواقع الاجتماعي ،مذكرة ماستر ،إشراف: نورة بعيو جامعة ، مولود معمري، تيزي وزو، 2017 .

7- حمدوش إيمان .المصطلح النقدي عند محمد مفتاح ،مذكرة ماستر في اللغة العربية ،. إشراف :محمد الصالح خرفي،جامعة محمد الصديق بن يحي.2016 .

8-خلدون ريمة . المشروع النقدي عند أحمد يوسف . رسالة دكتوراه .إشراف : عبد المالك ضيف، جامعة محمد بوضياف . المسيلة .2018 .

9- خلفي حليمة ، إشكالية المنهج في تجربة محمد بنيس النقدية ، رسالة ماجستير ،إشراف :حسان راشدي ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، 2011 .

10- دراف زينب. تجليات المنهج السيميائي في أعمال مفتاح النقدية . إشراف : محمد بوعلاوي، مذكرة ماستر . جامعة محمد بوضياف. المسيلة، 2005 .

11-رقيق سعاد . الخطاب النقدي المغاربي المعاصر،رسالة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر .إشراف: عمارة بوجمعة، جامعة الجيلالي اليابس. سيدي بلعباس.2015 .

12-سايحي أحمد . النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات . رسالة دكتوراه .إشراف : عمارة بوجمعة، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس . 2017

13- الصديان هيثم علي. المنهاجية الشمولية وتحيزاتها الإشكالية في نقد النقد عند محمد مفتاح .رسالة ماجستير ،، إشراف:فاخر صالح ميا جامعة تشرين،كلية الآداب والعلوم الإنسانية. 2015 ،

14- عتيق منى . قراءة نقدية لكتاب " في معرفة النص" ليمنى العيد . مذكرة ماستر .إشراف:العربي عبد القادر ، جامعة محمد بوضياف ،المسيلة . 2017 .

15- قراش محمد ، إشكالية التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح ، إشراف : د.لخضر جمعي رسالة ماجستير ، تخصص قضايا الأدب والدراسات النقدية ، جامعة الجزائر .

16- قرقوي بدرة . نقد النقد في المغرب العربي. رسالة دكتوراه في النقد الأدبي المعاصر .إشراف : محمد بلقاسم ، جامعة أبو بكر بالقايد . تلمسان . 2015 .

17- مرزاقة لطرشي ،النقد ونقد عند عبد المالك مرتاض ،مذكرة ماستر، إشراف: بوقرومة حكومة ،جامعة محمد بوضياف،المسيلة،2014 .

18- مرسلي عبد السلام ،واقع الخطاب السيميائي في النقد المغاربي،رسالة دكتوراه،إشراف : عبد القادر رابحي ، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس. 2015

19-مصباحي علي ،التجربة النقدية عند محمد مفتاح ، إشراف: الطيب بودربالة ،رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات،جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2011 .

20-مفتاح رندة.المنهج النقدي عند محمد مفتاح من خلال كتابه " في سيمياء الشعر القديم"، مذكرة ماجستير، إشراف : حضري جمال ،كلية الآداب واللغات.جامعة المسيلة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	
مدخل تمهيدي	
المبحث الأول : في القطيعة المعرفية	01
مفهوم الابستيمولوجيا	02
القطيعة المعرفية في المجال الغربي	03
القطيعة المعرفية في المجال العربي	05
المبحث الثاني : في الثورة اللسانية	06
المبحث الثالث : في النسق الثقافي	11
المبحث الرابع : لمحة عن تحولات النقد في المغرب العربي	14
المنهج السيميائي	17
المنهج البنيوي التكويني	18
الفصل الأول: منهاجية محمد مفتاح الشمولية	
المبحث الأول : دراسات محمد مفتاح ما قبل التشابه والاختلاف	24
المبحث الثاني : الخلفيات العلمية لمشروع محمد مفتاح	31
الخلفية التراثية	32
الخلفية الحداثية	33
المبحث الثالث : مفهوم المنهاجية الشمولية عند محمد مفتاح	43
المنهاجية في اللغة والاصطلاح	44
المنهاجية الشمولية عند محمد مفتاح	46

فهرس المحتويات

الفصل الثاني : المنهج النقدي عند محمد مفتاح	
المبحث الأول : في المنهج والمنهج النقدي	50
المنهج في اللغة والاصطلاح	51
علاقة المنهج بالنقد	53
المنهج النقدي	55
المبحث الثاني : أهم المناهج المتبعة في كتاب التشابه و الاختلاف	58
المنهج التاريخي	61
المنهج السيميائي	62
المنهج البنيوي	63
المبحث الثالث : التشابه والاختلاف المعرفيين من منظور محمد مفتاح	64
التشابه المعرفي	65
الاختلاف المعرفي	66
خاتمة	**83**
الملخص	86
الملحق	87
قائمة المصادر والمراجع	90
فهرس المحتويات	100